

سلسلة الفتوحات العزمية

جميع حقوق الطبع والنشر والتصوير
والاقتباس والترجمة والنقل محفوظة

(١٠)

العقائد الوثنية والشرائع السماوية

الجزء الثاني

الطبعة الأولى

جمادى الأولى ١٤٢٦هـ - يونيو ٢٠٠٥م

رقم الإيداع

١٠٣٠٧ / ٢٠٠٥

لجنة البحوث والدراسات
بالطريقة العزمية

محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة
الإفتاحية	٤
الفصل الأول : التجسيم والتشبيه عند اليهود	٩
الفصل الثاني : التجسيم والتشبيه عند أدعياء السلفية	٢١
- التوافق التام لأقوال المتمسلة مع اليهود.	٢٧
- قولهم: الله فوق العرش	٣١
الفصل الثالث : رد العلماء على تجسيم وتشبيه ابن تيمية:	٣٧
أولاً: قوله بالجسمية.	٣٧
ثانياً: زعمه أن الله يتكلم بحرف وصوت.	٤٨
ثالثاً: قوله بالانتقال والحركة والنزول في حق الله.	٧٧
رابعاً: قوله بنسبة الحد لذات الله تعالى.	٩٥
خامساً: قوله بنسبة الجهة والمكان لله تعالى.	١٠٩
سادساً: قوله بالجلوس في حق الله تعالى.	١٢٦
الفصل الرابع: علماء المذاهب الأربعة يردون افتراءات ابن تيمية والوهابية.	١٣٩
قاعدة عظيمة النفع في تنزيه الله تعالى.	١٧٠
الفصل الخامس: عقيدة النجاة	١٧٦

الإفتاحية

الحمد لله الذى أحيا سنن الحبيب المصطفى بعد اضمحلالها، وأعيا فهوم المعاندين عن دركها فرجعت بكلالها، نحمده ونستكين له من مظالم أنقضت الظهور بأثقالها، ونعبده ونستعين به لعصام الأمور وعضالها.

والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد الذى أطلع به فجر الإيمان من ظلمة القلوب وضلالها، وأسمع به وقر الأذان وجلا به رين القلوب بصقالها.. صلى الله عليه وعلى آله وسلم صلاة لا قاطع لاتصالها.
وبعد:

إن القلوب التى يحبها الله تعالى منحها عيوننا تشهد جماله، وتلك العيون التى منحها إياها تشتاق إلى أن ترى هذا الجمال، فيتجلى جل جلاله لها بقدرها، ثم يوسعها فلا تزال فى شوق حتى تصل إليه سبحانه وتعالى، فإذا وصلت إليه جل جلاله انتقشت معانى صفاته عليها، فتبدلت الأرض غير الأرض، والأرض هى الهيكل الإنسانى، والسموات غير السموات، وتلك السموات هى

التنزيه أن تنزهه عن التنزيه، مع اعتقادك أنك عاجز عن معنى تنزيهه، وما نزهه حقا من لم يشبهه شهودا. وليس التشبيه أن تجعل له قبلا تتصوره، أو صورة ترسم حدودها على جوهر نفسك، وإنما هو علمك نفسك من حيث البداية، فإن معنك الروحاني باطنك، ومعنك الجسماني ظاهرك، وهو الظاهر والباطن، وهذا المقام الروحاني الذي به علم الملائكة ما لم يكونوا يعلمون، فأشهد تسييح نفسك له إذا تجلى لك بالسميع، واسمع تنزيه حقائقك له سبحانه إذا تجلى لك باسم البصير، لديها تعرف نفسك فتعرف ربك، وما انكشف لك إلا أنت، وهو على عن أن يدرك، عظيم عن أن يشبه، وهو له نور أنى نراه؟!!!.

أخي وحببي في الله ورسوله ﷺ وآله:

لقد صدر الجزء الأول من كتاب (العقائد الوثنية والشرائع السماوية) وكان موضوعه هو عقيدة التثليث عند الوثنيين وبعض النصارى وبعض المسلمين، وهم أتباع ابن تيمية وابن عبد الوهاب، والأخير هو أول من

القوة الروحانية، فبعد أن كان شوقها إلى ربها، صار شوقها إلى الله تعالى، ولا ينتهي الشوق ولو كان الإنسان في مقعد صدق، لأن معبوده لا يحويه مكان، ولو أقامه في مقعد صدق لكان هذا المكان حجب، لأن محب الله تعالى لا يأنس لغير ذاته، وذاته تنزهت عن أن تحد أو تعد أو توصف، فيدوم شوقه إليها، ويتوالى انكشاف جماله العلى لهذا المحب، إلى ما لا نهاية، وكمالات الله تعالى لا نهاية لها، ولا بداية لها، فمساكين أهل المحبة، فهم فى أنس، وفى وحشة.

أما أنسهم، فيما ينجلي لهم من جماله العلى، وأما وحشتهم، فبعد المحبوب عنهم عظمة وجلالا، ولبعدهم دناءة وخسة، فحقيقتهم العبدية، فتشع عليهم سواطع جماله وكماله، ساطعة على أرواحهم، وهم فى عذاب ونعيم، عذابهم للشوق إليه، وأما النعيم فبالرضا عنهم، وهم رضى الله عنهم، ورضوا عنه.

التنزيه والتشبيه

ليس التنزيه تنزيهك الحق عن نقصك والعالم، إنما

أدخل التثليث في عقيدة المسلمين حيث قسم التوحيد إلى ثلاثة أقسام هي:

(١) توحيد الألوهية (الآب).

(٢) توحيد الربوبية (الابن).

(٣) توحيد الأسماء والصفات (الروح القدس).

واستكمالاً للعقائد الوثنية التي دخلت الشرائع السماوية، صدر هذا الجزء الثاني، حيث يتعرض للتجسيم والتشبيه الوثني عند اليهود، والتجسيم والتشبيه عند ابن تيمية وأتباعه، ورد العلماء على هذه الوثنيات التي دخلت في شريعة الإسلام.

ولم يتعرض هذا الجزء لعقيدة الوثنيين بالنسبة للتجسيم والتشبيه لأنهم صوروا الإله في صور وتمثيل عبودها، أو كواكب أو نجوم أو بشر أو حيوانات أو نباتات، وغير ذلك.. وبالتالي فلسنا في حاجة إلى التحدث عن هذه العقيدة لوضوح وجلاء التجسيم والتشبيه فيها.

وكذلك لم نتعرض لعقيدة النصارى بالنسبة للتجسيم والتشبيه لاعتقادهم الواضح أن الصورة البشرية لسيدنا

عيسى عليه السلام هي صورة الإله الذي يعبد، بالرغم من كونه يأكل ويشرب ويقضى حاجته، وينام ويقوم وغير ذلك من مقتضيات البشرية.

لذلك يجب على الأمة أن تتنبه لخطر الوهابية ذيول ابن تيمية، الذين أدخلوا التجسيم والتشبيه والصفات البشرية في عقيدة المسلمين في حق الإله - تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً - ويزعمون أنهم وحدهم هم دعاة التوحيد، ومن سواهم من المسلمين إما: كافر، أو مشرك، أو مبتدع.

وهذا السلوك المريب هو السبب فيما وصلت إليه الأمة من هوان، وقد حان موعد الحساب، لاجتثاث هذه الشجرة الخبيثة من فوق الأرض، وحتى لا يبقى لها قرار. والله ولي التوفيق والهادي إلى سواء السبيل، وإليه المصير، وعليه التكлян، والله غالب على أمره.

لجنة البحوث والدراسات

بالطريقة العزمية

الفصل الأول

التجسيم والتشبيه عند اليهود

إن التصور الإلهي عند اليهود فكر أسطوري ووثني إلى حد بعيد. فهم ينسبون إليه الكثير من الصفات البشرية، بل ربما رأياه كثيراً في العهد القديم (التوراة) أقل من الإنسان في صفاته.

فهم ينسبون إليه ما يلي:

١ - **التعب والإجهاد:** جاء في سفر التكوين الإصحاح

٢ الآيات من ١-٣:

[وهكذا أكملت السموات والأرض وجميع قواتها * وانتهى الله في اليوم السابع من عمله الذي عمله، واستراح في اليوم السابع من كل عمله الذي عمله * وبارك الله اليوم السابع وقدهس لأنه فيه استراح من كل عمله الذي عمله خالقاً].

٢ - **أفعاله جزافية:** صورة الإله عند اليهود صورة

الحاكم المطلق لقبيلة، فقد خلق الإنسان وفق هواه،

ويستطيع أن يحطمه تبعاً لمشيئته، بعد أن يندم على أنه خلقه.

جاء في سفر التكوين الإصحاح ٦ الآيات من ٥-٨: [إن شر الإنسان قد كثر على الأرض وإن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم، فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض وتأسف في قلبه، فقال الرب: أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذي خلقتة، الإنسان مع بهائم ودبابات وطيور السماء لأنى حزنت أنى عملتهم].

وبعد أن أفناهم الله في طوفان نوح، أعطى ميثاقه وعهده لنوح ألا يهلك الإنسان بعد ذلك بطوفان.

٣ - **ضعف الذاكرة:** لكى لا ينسى الإله عهده مع نوح، قام بوضع علامة قوس قزح في السماء حتى يتذكر فعلته السابقة كلما رآه، فيتنبه ويعتدل في إرسال المياه حتى لا تكون طوفاناً.

جاء في سفر التكوين الإصحاح ٩ الآيات من ١٣-١٦: [وضعت قوسى في السحاب فتكون علامة ميثاق بينى وبين الأرض فيكون متى أنشر سحباً على الأرض

وتظهر القوس فى السحاب، أنى أذكر ميثاقى الذى بينى وبين كل نفس حية فى كل جسد، فلا تكون أيضاً المياها طوفاناً لتهلك كل ذى جسد، فمتى كان القوس فى السحاب أبصرها لأذكر ميثاقاً أبدياً بين الله وبين كل نفس حية فى كل جسد على الأرض].

٤ - الإله يوجهه الإنسان: يخبرنا العهد القديم بأنه عندما غضب الرب على بنى إسرائيل لعبادتهم العجل، قال لموسى: [فالآن اتركنى ليحمى غضبى عليهم وأفنيهم] (سفر الخروج الإصحاح ٣٢ الآية ١٠).

فيهدئ سيدنا موسى من غضب الرب، وينبهه بأن عليه أن يرجع عن مثل هذا الانفعال!! حتى لا يتكلم عنه المصريون ويقولون إنه أخرجهم- يعنى بنى إسرائيل- بخبث من مصر ليفنيهم بالجبال.. ويتنبه الرب فعلاً إلى مراجعة موسى له، ويستجيب الرب لنصيحة موسى، ويندم على نيته الشريرة هذه.

جاء فى سفر الخروج الإصحاح ٣٢ الآيات من ١١- ١٤: [لماذا يا رب يحمى غضبك على شعبك الذى

أخرجته من أرض مصر بقوة عظيمة ويد شديدة؟، لماذا يتكلم المصريون قائلين: أخرجهم بخبث ليقتلهم فى الجبال ويفنيهم عن وجه الأرض؟، ارجع عن حمو غضبك واندم على الشر بشعبك، اذكر إبراهيم وإسحق وإسرائيل عبيدك الذين حلفت لهم بنفسك وقلت لهم: أكثر نسلكم كنجوم السماء وأعطى نسلكم كل هذه الأرض التى تكلمت عنها فيملكونها إلى الأبد، فندم الرب على الشر الذى قال إنه يفعله بشعبه].

٥ - الإله فى صورة بشرية: جاء فى سفر الخروج الإصحاح ٣٣ الآية ١١: [ويكلم الرب موسى وجهاً لوجه كما يكلم الرجل صاحبه].

وفى حكاية عجيبة نجد أن الإله يأتى ببساطة شديدة إلى إبراهيم عليه السلام جهاراً ومعه اثنين من الملائكة ليتشاور معه حول حرق قرية سادوم، والطريف أن سيدنا إبراهيم عليه السلام يعرض على الإله والملائكة الذين معه، أن يقيم لهم مأدبة غذاء ليأكلوا ويشربوا ويسندوا قلوبهم.. قبل أن يبدأوا مهمتهم هذه.

جاء فى سفر التكوين الإصحاح ١٨ الآيات من ١-٨:
 [وظهر الرب عند بلوطات ممرا وهو جالس فى باب
 الخيمة وقت حر النهار، فرفع عينيه ونظر وإذا ثلاثة
 رجال واقفون لديه فلما نظر ركض لاستقبالهم من باب
 الخيمة وسجد إلى الأرض، وقال: يا سيد إن كنت قد
 وجدت نعمة فى عينيك فلا تتجاوز عبدك، ليؤخذ قليل ماء
 واغسلوا أرجلكم، وانكئوا تحت الشجرة، فأخذ كسرة خبز
 فتسندون قلوبكم ثم تجتازون لأنكم مررتم على عبدكم
 فقالوا: هكذا تفعل كما تكلمت، فأسرع إبراهيم إلى الخيمة
 إلى سارة، وقال: أسرع بثلاث كيلات دقيقتاً سميذاً
 اعجنى واصنعى خبز ملة، ثم ركض إبراهيم إلى البقر
 وأخذ عجلاً رخصاً وجيداً وأعطاه للغلام فأسرع ليعمله،
 ثم أخذ زبدًا ولبنًا والعجل الذى عمله ووضعها قدامهم وإذا
 كان هو واقفاً لديهم تحت الشجرة أكلوا].

ثم يبشر الرب إبراهيم بأن عند عودته مرة أخرى إليه
 بعد فترة من الزمن سوف يكون لسارة زوجته ابناً.

جاء فى سفر التكوين الإصحاح ١٨ الآيات ٩-١٥:

[وقالوا له- الله والملائكة- أين سارة امرأتك؟ فقال: ها
 هى فى الخيمة، فقال إني أرجع إليك نحو زمان الحياة
 ويكون لسارة امرأتك ابن، وكانت سارة سامعة من باب
 الخيمة وهو وراءه، فضحكت سارة فى باطنها أبعد فنائى
 يكون لى تتعم وسيدى قد شاخ؟ فقال الرب لإبراهيم: لماذا
 ضحكت سارة قائلة: أفيالحقيقة ألد وأنا قد شخت؟ فأنكرت
 سارة قائلة: لم أضحك لأنها قد خافت، فقال: بل
 ضحكت].

ونلاحظ هنا أن الإله يسأل إبراهيم لماذا ضحكت سارة
 لأنه لا يعلم لماذا ضحكت، ثم تكذبه سارة بقولها: لم
 أضحك. فيرد عليها الإله مؤكداً أنها كاذبة بقوله: لا بل
 ضحكت.. وهكذا يدور الحوار المقدس.

ثم نجد الإله يتشاور مع إبراهيم- بعد أن نزل على
 الأرض- حول الانتقام من أهل سادوم وذلك بعد تردد،
 وإبراهيم يقنع الإله بالعدل وعن ذلك وألا يفعل مثل آلهة
 الأديان الأخرى، وهو إقناع يحمل فى طياته مفهوم
 الشرك بالله!!.

جاء في سفر التكوين الإصحاح ١٨ الآيات ١٦-٢٥:
 [ثم قام الرجال من هناك وتطلعوا نحو سادوم وكان
 إبراهيم ماشياً معهم ليشيعهم، فقال الرب: هل أخفى على
 إبراهيم ما أنا فاعله؟ وإبراهيم أمة كبيرة وقوية وبتبارك
 به جميع أمم الأرض، وقال الرب: إن صراخ سادوم
 وعمورة قد كثر وخطيتهم قد عظمت جداً، أنزل وأرى
 هل فعلوا بالتمام حسب صراخها الآتى إليّ، وإلا فأعلم،
 وانصرف الرجال من هناك وذهبوا نحو سادوم، وأما
 إبراهيم فكان لم يزل قائماً أمام الرب، فتقدم إبراهيم وقال:
 أفتهلك البار مع الأثيم؟ عسى أن يكون خمسون باراً فى
 المدينة.. أفتهلك المكان ولا تصفح عنه من أجل الخمسين
 باراً الذين فيه؟ حاشا لك أن تفعل مثل هذا الأمر أن تميت
 البار مع الأثيم فيكون البار كالأثيم، حاشا لك، أديان كل
 الأرض لا يصنع عدلاً].

وبديهى أن كل هذا تصورات أسطورية عن إله يحتاج
 إلى مشورة الإنسان لاتخاذ قرار، وإله ينزل إلى الأرض
 ليتفقد سير الخلائق من جانب، ويقف على تطورات

الأمر بنفسه من جانب آخر، ليتأكد من صدق وسلامة
 المعلومات التى تصل إليه، وهذه التصورات تتهم الإله
 بالعجز وعدم الكمال.

٦ - صراع الإنسان مع الإله على الأرض: يعطينا
 الكتاب المقدس معنى حرفياً للجهاد مع الله، حيث يقول إن
 الجهاد مع الله هو نوع من المصارعة الحرة، أو الاشتباك
 بالأيدى والأرجل بين الإنسان وبين الله مباشرة - وجهاً
 لوجه-.. حيث نرى سيدنا يعقوب قد قام بإمساك الإله
 وهو يتجول ليلاً على سطح الأرض، وكان فى صورة
 إنسان، حيث قام يعقوب بمصارعته ليلة كاملة، لم يستطع
 الإله فيها الإفلات من يعقوب أو التغلب عليه، ولم يطلق
 يعقوب سراحه إلا بعد أن أملى عليه شروطه، ولم يجد
 الإله بداً من الرضوخ ليعقوب.

جاء في سفر التكوين الإصحاح ٣٢ الآيات من ٢٢-
 ٣١: [وقام- يعقوب- فى تلك الليلة وأخذ امرأته
 وجاريتيه وأولاده الأحد عشر وعبر مخاضة يبق،
 وأخذهم وأجازهم الوادى وأجاز ما كان له، فبقى يعقوب

وحده وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر، ولما رأى يعقوب أنه لا يقدر عليه ضرب حق فخذته فانخلع فخذ يعقوب في مصارعه معه، وقال: أطلقني لأنه قد طلع الفجر. فقال: لا أطلقك إن لم تباركني، فقال له: ما اسمك؟ فقال: يعقوب، فقال: لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل إسرائيل لأنك صارعت الله والناس وقدرت، وسأله يعقوب وقال: عرفني اسمك؟ فقال: لم سؤالك عن اسمي وباركته هناك، فدعا يعقوب اسم المكان فنوئيل قائلاً: إني رأيت الله وجهاً إلى وجهه ونجيت نفسي، وأشرقت الشمس إذ عبر فنوئيل وهو يعرج من فخذة [.

وكلمة إنسان في هذا النص تعود على الصورة التي ظهر بها الله ليعقوب ولا تعنى مجرد إنساناً عادياً، ويتضح هذا المعنى جلياً من النص: [لأنك صارعت الله والناس وقدرت]، وكذلك: [فدعا يعقوب اسم المكان فنوئيل، قائلاً: لأنى نظرت الله وجهاً إلى وجهه ونجيت نفسي].. وهذا المعنى ذكره البابا شنودة في كتابه (سنوات مع أسئلة الناس- الجزء السابع- ص ٣٣، ٣٤).

٧ - **الإله حاقد وساخط:** الإله في العهد القديم نجده إله خال من أية كمالات أو صفات إلهية متعالية، فنجده كائناً أسطورياً غريب الأطوار.. حقوداً.. ساخطاً.. مدمراً.. وبينه وبين الأمم عداً سافر ما عدا بني إسرائيل شعبه المختار (كما يزعمون).

جاء في سفر أشعياء الإصحاح ٣٠ الآيات ٢٧ - ٣١: [هو ذا اسم الرب يأتي من بعيد غضبه مشتعل والحريق عظيم شفتاه ممثلتان سخطاً ولسانه كمنار آكلة، ونفخته كنهز غامر يبلغ إلى الرقبة لغزيلة الأمم بغربال السوء وعلى فتوك الشعوب رسن مضل، تكون لكم أغنية كليلية تقديس وفرح قلب كالسائر بالنأي ليأتي إلى جبل الرب إلى صخر إسرائيل، ويسمع الرب جلال صوته ويرى نزول ذراعه بهيجان غضب ولهيب آكلة نوء وسيل وحجارة برد، لأنه من صوت الرب يرتاع آشور بالقضيب يضرب].

واستمراراً لهذا الفكر الأسطوري عن الإله، يخبرنا الكتاب المقدس أنه عندما غضب الإله تصاعد الدخان من

أنفه والنار من فمه.. وذلك عندما صرخ داود طالباً النجدة من ربه.

جاء فى سفر صموئيل الثانى الإصحاح ٢٢ الآيات ٧-٢٠: [فى ضيقى دعوت الرب وإلى إلهى صرخت فسمع من هيكله صوتى وصراخى دخل أذنيه، فارتجت الأرض وارتعشت أسس السماوات ارتعدت وارتجت لأنه غضب، سعد دخان من أنفه ونار من فمه أكلت جمر اشتعل منه، طأطأ السموات ونزل وصاباب تحت رجليه.. أنقذنى من عدوى القوى من مبغضى لأنهم أقوى منى.. خلصنى لأنه سرّ بى].

فكما نرى عندما صرخ داود، دخل صراخه فى أذنى الرب، فغضب، فارتجت أسس الأرض، وتصاعد الدخان من أنفه، وخرجت النار من فمه ونزل من السماء مسرعاً- كما يبدو- وتحت رجليه صباب لينقذ داود من محنته.

واستكمالاً للقصة الأسطورية السابقة، نجد أن الإله ينزل من السماء يمتطى الملائكة الصغيرة ليطير بها

وتطير به.

جاء فى سفر صموئيل الثانى الإصحاح ٢٢ الآيات ١٠، ١١: [طأطأت السموات ونزل صباباب تحت رجليه، ركب على كروب وطار ورئى على أجنحة الريح] .. والكرب أو الكيرب أو الكاروب هو الملاك الصغير. وبهذه الأمثلة وغيرها يتضح لنا التصور الإلهى عند اليهود بأنه إله مسخ، فنرى التجسيم والتشبيه والصفات التى لا تليق، وتحديد الجهة والمكان والاحتياج إليه.

الفصل الثاني

التجسيم والتشبيه عند أدعياء السلفية

إن التصور الإلهي عند المتمسلة ينحصر في تشبيهه الله بخلقه، ونسبة صفات المخلوقات إليه، ونسبة الجهة والمكان، والصعود والنزول إلى ذاته سبحانه.

فهم ينسبون إليه ما يلي:

١ - التحيز : أورد ابن تيمية في المجلد الخامس من كتاب (فتاوى ابن تيمية) الصحيفة ١٨ ما نصه: [وأما قولهم: الذى نطلب منه أن يعتقد أن ينفى عن الله التحيز، فالجواب من وجوه: أحدها أن هذا اللفظ ومعناه الذى أرادوه ليس هو فى شئ من كتب الله المنزلة من عنده ولا هو مأثور عن أحد من أنبياء الله ورسله]. إن هذا الكلام ليس من دين الله، ولا من الإيمان، ولا من سبيل المؤمنين، ولا من طاعة الله ورسوله.

ويقول : [وليس فى شئ من ذلك نفى الجهة والتحيز عن الله ولا وصفه بما يستلزم لزوماً بيناً نفى ذلك].

٢ - الجهة : أما كلام ابن تيمية الذى صرح فيه بنسبة الجهة إلى الله تعالى فهو كثير فى الرسالة التدمرية وتحت عنوان (تنازع الناس فى الجهة والتحيز) يقول ابن تيمية: [فيقال لمن نفى: أتريد بالجهة ما وراء العالم؟ فلا ريب أن الله فوق العالم مباين للمخلوقات، وكذلك يقال لمن قال: الله فى جهة، أتريد بذلك أن الله فوق العالم؟ أو تريد به أن الله دخل فى شئ من المخلوقات؟ فإن أردت الأول فهو حق].

ويقول فى الصحيفة ٦٤ من كتابه (منهاج السنة النبوية): [وإذا رُدَّ ذاك تعين أن يكون فى الجهة، فثبت أنه فى الجهة على التقديرين].

ويقول فى كتابه الفتاوى ج ٥ ص ٢٤: [ومن المعلوم أنه ليس فى الكتاب والسنة ولا فى كلام أحد من سلف الأمة ما يدل نصاً ولا استنباطاً على أن الله ليس فوق العرش].

وفى كتابه (التأسيس) أثبت الفوقية المكانية لله فقال: [والبارئ سبحانه وتعالى فوق العالم فوقية حقيقية ليست

فوقية الرتبة كما أن التقدم على الشئ قد يقال إنه بمجرد الرتبة].

ويقول ابن قيم الجوزية في نسبة الجهة لله تعالى في قصيدته النونية والتي ذم فيها المسلمين الذين ينزهون الله عن الجهة والاستقرار على العرش:

إذ عطلوا الرحمن من أوصافه

العرش أخلوه من الرحمن

ولفظ ابن القيم يدل على أنه يؤمن بأن العرش مكان للرحمن، وأن الله حالٌ فيه حلول الحال في المحل والمتحيز في المكان.

ويقول ابن تيمية في الرسالة الحموية ص ١٢٢: [ما بين السماء الدنيا والتي تليها مسيرة خمسمائة عام، وبين كل سماء وسماء خمسمائة عام، وبين الكرسي والكرسي خمسمائة عام، وبين الكرسي والماء خمسمائة عام، والعرش فوق الماء، والله فوق العرش وهو يعلم ما أنتم عليه].

فمن خلال هذا السياق يتبين أن قول ابن تيمية: [

والعرش فوق الماء والله فوق العرش]. يريد به التقسيم المكاني وإثبات الجهة التي هي عن الله منفية.

٣- التجسيم والتشبيه : نقل ابن بطوطة وابن حجر العسقلاني أن ابن تيمية قال وهو على المنبر: [إن الله ينزل إلى سماء الدنيا كنزولى هذا، ونزل درجة على المنبر]. راجع (رحلة ابن بطوطة: ٩٥، الدرر الكامنة: ١: ١٥٤).

وجاء في كتاب (تنبيهات هامة على ما كتبه الشيخ محمد على الصابوني في صفات الله عز وجل) بقلم أحدهم^(١) ما نصه ص ٢٢: [ثم ذكر الصابوني هداه الله تنزيه الله سبحانه عن الجسم والحدقة والصماخ واللسان والحجرة وهذا ليس بمذهب أهل السنة بل من أقوال أهل الكلام المذموم وتكلفهم].

هذا الكلام من هذا الشيخ كفر، لأن من جعل تنزيه الله عن الجسم والحدقة والصماخ واللسان والحجرة من كلام أهل الكلام المذموم فقد كفر لأن الله منزه عن ذلك.

(١) عبد العزيز بن باز.

ويقول صاحب كتاب (ظلال القرآن)^(١) مخالفاً جميع علماء الإسلام في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ (الحديد: ٤): [وهو على الحقيقة، لا على الكناية والمجاز فالله سبحانه وتعالى على رأيه مع كل أحد ومع كل شئ وفي كل مكان]، وبذلك جعل الله منتشراً في العالم وهذا كفر.

قوله: (في كل مكان) هذا لم يقله أحد من السلف إنما قاله جهم بن صفوان الذي قتل على الزندقة في أواخر أيام الأمويين، فكل علماء الإسلام اتفقوا على أن معنى الآية هو إحاطة علمه تعالى بكل الخلق.

(ذكر ذلك في الجزء السادس من ظلال القرآن، ص ٣٤٨١).

ثم يسمى الله بالريشة المعجزة، وبالريشة الخالقة والمبدعة وذلك في مواضع عديدة من كتابه (التصوير الفنى فى القرآن)، وكتابه (ظلال القرآن) ج ٤ ص ٢٠٤، ٢٠٦.

(١) سيد قطب.

ويسمى الله تعالى بالعقل المدبر فى تفسير سورة النبأ، وهذا إحد فى أسماء الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذُرُوا الَّذِينَ يَلْحَدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ (الأعراف: ١٨٠).

ويقول أحدهم^(١) فى كتاب (صحيح الترغيب والترهيب) ص ١١٦ معلقاً على قوله ﷺ: (إن أحدكم إذا قام يصلى فإن الله قبل وجهه): [اعلم أن قوله فى هذا الحديث (فإن الله قبل وجهه)، وفى الحديث الذى قبله: (فإن الله عز وجل بين أيديكم فى صلاتكم) لا يناهى كونه تعالى على عرشه، فوق مخلوقاته كلها، كما تواترت فيه نصوص الكتاب والسنة وآثار الصحابة والسلف الصالح رضى الله عنهم، فإن الله تعالى مع ذلك واسع محيط بالعالم كله، وقد أخبر أنه حيثما توجه العبد فإنه مستقبل وجهه الله عز وجل، بل هذا شأن مخلوقه المحيط بما دونه، فإن كل خط يخرج من المركز إلى المحيط، فإنه يستقبل وجه المحيط ويواجهه، وإذا كان على المخلوقات يستقبل

(١) ناصر الدين الألبانى.

سافلها المحاط بها بوجهه من جميع الجهات والجوانب، فكيف بشأن من هو بكل شئ محيط، وهو محيط ولا يحاط به.

إن هذا الشيخ جعل الله كالشئ المحيط بالأرض من كل الجوانب، وهذا صريح الكفر لأنه شبه الله بالبيضة التى تحيط بما فيها من جميع الجهات.

وجاء فى (كتاب الهدية السنوية) الرسالة الرابعة لأحدهم^(١) نسبة الأعضاء إلى الله تعالى كاليد والرجل والعين والوجه، ثم يصفونه تعالى شأنه بالجلوس والحركة والانتقال والنزول والصعود.. تعالى الله عما يصفون.

التوافق التام لأقوال المتسلفة

مع اليهود

١ - الصوت :

** يقول اليهود: [من جميع البشر الذى سمع صوت

(١) عبد اللطيف حفيد محمد بن عبد الوهاب.

الله [سفر التثنية الإصحاح ٥ الآية ٢٦. يقول المشبهة : [وإن كلامه حروف وأصوات يسمعها من يشاء من خلقه [كتاب التوحيد- دار الدعوة السلفية- لابن خزيمة تحقيق محمد هراس ص ١٣٨.

يقول أهل السنة: (ولم يصح فى نسبة الصوت إلى الله حديث) مقالات الكوثرى ص ٣٢، والبيهقى فى الأسماء والصفات.

** يقول اليهود: [إن عدنا نسمع صوت الرب إلهنا أيضاً نموت [سفر التثنية الإصحاح ٥ الآية ٢٤.

يقول المشبهة: [فإذا سمعوا صوته صعقوا من عظمة الصوت وشدته [كتاب التوحيد لابن خزيمة ص ١٤٦.

** يقول اليهود: [فتكلم الرب من وسط النار وأنتم سامعون صوت كلام ولكن لم تروا صورة بل صوتاً [سفر التثنية الإصحاح ٤ الآية ١٢.

يقول المشبهة: [فعلم أنه كلم- أى الله- بعضهم.. فيسمع كلامه ولا يرى شخصه [كتاب التوحيد لابن خزيمة ص ١٣٧.

يقول أهل السنة: (قوله ولا يرى شخصه مخالف لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ وقول الإمام الطحاوى: (ومن وصف الله بمعنى من معانى البشر فقد كفر).

** يقول اليهود: [وسمعا- آدم وحواء- صوت الإله ماشياً فى الجنة.. فقال آدم سمعت صوتك- الله- فى الجنة] سفر التكوين الإصحاح ٣ الآيات ٨-١٠.

يقول المشبهة: [والله سبحانه نادى آدم وحواء بصوت] شرح العقيدة الواسطية لابن تيمية تعليق محمد هراس ص ٩٦.

** يقول اليهود: [وموسى يتكلم والله يجيبه بصوت] سفر الخروج الإصحاح ١٩ الآية ١٩.

يقول المشبهة: [والله سبحانه نادى موسى بصوت] شرح العقيدة الواسطية لابن تيمية ص ٩٦.

** يقول اليهود: [الله يردد بصوته عجباً] سفر أيوب الإصحاح ٣٧ الآيات ٢-٦.

يقول المشبهة: [يعنى يسمعون صوته عز وجل بالوحى قوياً له رنين وصلصلة] كتاب التوحيد لابن

خزيمة ص ١٤٦.

٢ - الجلوس :

** يقول اليهود: [وقال فاسمع إذا كلام الرب قد رأيت الرب جالساً على كرسيه وكل جند السماء وقوف لديه عن يمينه وعن شماله ثم خرج الروح ووقف أمام الرب] سفر الملوك الأول الإصحاح ٢٢ الآيات ١٩-٢٠.
يقول المجسمة: [إذا تبين هذا فقد حدث أن محمداً رسول الله يجلسه ربه على العرش معه] مجموع الفتاوى المجلد الرابع لابن تيمية ص ٣٧٤.

يقول أهل السنة: قال الإمام على كرم الله وجهه: (إن الله خلق العرش إظهاراً لقدرته ولم يتخذ مكاناً لذاته) رواه أبو منصور البغدادي فى كتابه الفرق بين الفرق ص ٢٥٦، بعد أن ذكر إجماع المسلمين عن نفى الحد والمكان عن الله تعالى.

** يقول اليهود: [الله جلس على كرسى قدسه] سفر المزامير الإصحاح ٤٧، الآية ٨.

يقول المجسمة: [حدث وكيع عن إسرائيل بحديث إذا جلس الرب على الكرسي فقتعر رجل عند وكيع فغضب وكيع.. وربما حصل معهم من عدم تلقيه بالقبول ترك ما وجب من الإيمان به] فتح المجيد لعبد الرحمن آل الشيخ تحقيق ابن باز ص ٣٩٣.

يقول أهل السنة: (جاء فى الفتاوى الهنذية المجلد الثانى صحيفة ٢٥٩ قالوا: ويكفر بقوله الله جالس على العرش).

والملاحظ على ما سبق من أقوال اليهود والمشبهة والمجسمة (التمسلفة) التوافق التام فى اللفظ والمعنى والعقيدة.

قولهم: الله فوق العرش

جاء فى كتاب (التوحيد على طريقة السؤال والجواب)^(١) نشر رابطة العالم الإسلامى (الوهابية) ص ٧٥، ٧٦ ما يلى:

(١) تأليف محمد المرزوقى بن عبد المؤمن.

٢٢٨س : أين هو؟

ج : فى السماء.

٢٣٠س : أين فى السماء؟

ج : فوق السموات، فوق عرشه المجيد والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾.

٢٣٣س : ما حكم من لم يعتقد بأن الله فوق عرشه المجيد؟.

ج : حكمه أنه كافر بالصفات، لأن استواءه على العرش صفة من وصف الله، ومن أنكرها فقد كذب الله، وتكذيب الله كفر.

ويقول هؤلاء المشبهة : (الله فوق العرش حيث لا مكان). ونرد عليهم من حديث الرسول ﷺ، فقد روى البخارى وغيره أن الرسول ﷺ قال: (إن الله كتب فى كتاب فهو فوق العرش إن رحمتى سبقت غضبى) يعنى أن هذا الكتاب فى مكان، وأين هذا المكان؟ فوق العرش، فإذا فوق العرش يوجد مكان. والله سبحانه وتعالى غنى عن المكان، نقول لهم: كذبتُم لما قلتُم: (الله فوق العرش

حيث لا مكان).. يوجد فوق العرش مكان بنص حديث الرسول ﷺ وآله.

أما قول الله عز وجل: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ وكلمة (استوى) لها خمسة عشر معنى فى اللغة العربية، بعض هذه المعانى يليق بالله، وبعض هذه المعانى لا يليق بالله، فمن فسر استوى بمعنى جلس أو استقر بعد اعوجاج، أو نضح بعد أن لم يكن ناضجاً، أو اكتمل بعد غير اكتمال، فهذا يكون قد ضرب القرآن بعضه ببعض، ووصف الله عز وجل بما لا يليق، ومن وصف الله بما لا يليق به يكون كافراً كائناً من كان هذا الإنسان.

ومن قال: الرحمن على العرش استوى، استواء يليق به بمعنى قاهر ومسيطر مع نفي المشابهة عن الله تعالى لخلقه بأى وجه من الوجوه قولاً واعتقاداً، فهذا إنسان محق.

أما إن قال بلسانه استوى استواء يليق به واعتقد أن استواء الله جلوس فهو كافر من الكافرين، ولا ينفعه قوله بلسانه: (لا كجلوس الخلق) أو (جلس بلا كيف).

قال الإمام على كرم الله وجهه: (كان الله ولا مكان وهو الآن على ما عليه كان).

والله سبحانه وتعالى قال: ﴿استوى﴾ ولم يقل جلس، فاستوى لها معنى يليق بالله من غير أن يكون معناها الاستقرار أو الجلوس أو المحاذاة.

والله تعالى قال: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾، وقال: ﴿ءأمنتم من فى السماء﴾، وقال: ﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾، وقال: ﴿فأينما تولوا فثم وجه الله﴾. فهل يقال: هو على العرش جالس، وفى السماء ساكن، وبين العبد وحبل الوريد، وأينما ذهبت فهو تجاهك؟ أعوذ بالله من التشبيه ومن التناقض فى الاعتقاد، بل يقال كل له معنى يوافق آية: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ ، وكذا الأمر فى الأحاديث كحديث الجارية، وحديث النزول فلا يعنى الرسول فى حديث الجارية أن الله متحيز فى السماء، ولا يعنى فى حديث النزول؛ النزول الحسى، هذا ما عليه الفرقة الناجية.

أما نفي التأويل التفصيلى عن السلف بالمرّة فهو

مردود، فقد ثبت أن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله أول قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ قال: (وجاءت قدرته) رواه البيهقي بإسناد صحيح، وذكره ابن كثير في البداية والنهاية. والإمام البخاري رحمه الله أول قول الله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ قال: (إلا ملكه) أى سلطانه، فى كتابه صحيح البخارى فى تفسير سورة القصص.

ثم ما رأى هؤلاء الذين ينكرون التأويل فى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ (الإسراء: ٧٢) وهل ينطبق على مفتى الوهابية السابق والحالى!!!.

وإليك رأى الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب فى الاستواء حتى تكون على بينة من الأمر ولا تخدع بأقوال هؤلاء المتمسفة قتلة المسلمين:

١ - يقول الإمام أحمد بن حنبل: (استوى كما أخبر لا كما يخطر للبشر).

٢ - ويقول الإمام الشافعى: (أمنت بلا تشبيه، وصدقت بلا تمثيل، واتهمت نفسى فى الإدراك، وأمسكت

عن الخوض فيه كل الإمساك).

٣ - ويقول الإمام أبو حنيفة: (من قال لا أعرف الله فى السماء هو أم فى الأرض هو فقد كفر، لأن هذا يوهم أن لله مكاناً، ومن توهم أن لله مكاناً فهو مشبه).

٤ - ويقول الإمام مالك فيما ذكره البيهقي فى كتاب الأسماء والصفات: (الرحمن على العرش استوى كما وصف نفسه، ولا يقال كيف، وكيف عنه مرفوع).

وقال للسانى: (الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا مبتدعاً)، فالحاصل من ذلك أن الذى ثبت عنه أنه قال: (والكيف مرفوع) أو (والكيف غير معقول).

فثبت بما لا يحتمل الشك أن السلف والخلف على أن الله موجود بلا مكان ولا جهة، وأنه ليس جسماً، لأن ما كان كذلك لا يكون إلا مخلوقاً والله خالق وليس مخلوقاً.

الفصل الثالث

رد العلماء على تجسيم وتشبيه ابن

تيمية^(١)

أولاً: قوله بالجسمية

أما قوله بالجسمية في حق الله تعالى فقد ذكر في كتابه شرح حديث النزول ونصه^(٢): (وأما الشرع فمعلوم أنه لم ينقل عن أحد من الأنبياء ولا الصحابة ولا التابعين ولا سلف الأمة أن الله جسم أو أن الله ليس بجسم بل النفي والإثبات بدعة في الشرع) أ. هـ.

وقال في الموافقة ما نصه^(٣): وكذلك قوله: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ» (الشورى: ١١)، وقوله: «هَلْ تَعَلَّمُ لَهُ سَمِيًّا» (مريم: ٦٥). ونحو ذلك فإنه

(١) راجع كتاب (المقالات السننية في كشف ضلالات أحمد بن

تيمية) للشيخ عبد الله الهرري، ص ١٠١ - ١٨٢.

(٢) شرح حديث النزول (ص/٨٠).

(٣) انظر الكتاب (١/٦٢).

لا يدل على نفي الصفات بوجه من الوجوه بل ولا على نفي ما يسميه أهل الاصطلاح جسما بوجه من الوجوه) أ. هـ.

وقال فيه أيضا ما نصه^(١): (وأما ذكر التجسيم وضم المجسمة فهذا لا يعرف في كلام أحد من السلف والأئمة كما لا يعرف في كلامهم أيضا القول بأن الله جسم أو ليس بجسم، بل ذكروا في كلامهم الذي أنكروه على الجهمية نفي الجسم كما ذكره أحمد في كتاب الرد على الجهمية) أ. هـ.

وقال في المنهاج ما نصه^(٢): (أما ما ذكره من لفظ الجسم وما يتبع ذلك فإن هذا اللفظ لم ينطق به في صفات الله لا كتاب ولا سنة لا نفيًا ولا إثباتًا، ولا تكلم به أحد من الصحابة والتابعين وتابعيهم لا أهل البيت ولا غيرهم) أ. هـ.

(١) انظر الكتاب (١/١٤٨).

(٢) انظر الكتاب (١/١٩٧)، ونحوه (١/٢٠٤).

وقال فى المنهاج ما نصه ^(١): (وقد يراد بالجسم ما يشار إليه أو ما يرى أو ما تقوم به الصفات، والله تعالى يرى فى الآخرة وتقوم به الصفات ويشير إليه الناس عند الدعاء بأيديهم وقلوبهم ووجوههم وأعينهم، فإن أراد بقوله: ليس بجسم هذا المعنى قيل له: هذا المعنى الذى قصدت نفيه بهذا اللفظ معنى ثابت بصحيح المنقول وصريح المعقول، وأنت لم تقم دليلاً على نفيه) أ.هـ.

وقال فى فتاويه ما نصه ^(٢): (ثم لفظ التجسيم لا يوجد فى كلام أحد من السلف لا نفيًا ولا إثباتًا، فكيف يحل أن يقال: مذهب السلف نفي التجسيم أو إثباته) أ.هـ.

وقال فى كتابه بيان تلبيس الجهمية ما نصه ^(٣): (وليس فى كتاب الله ولا سنة رسوله ولا قول أحد من سلف الأمة وأئمتها أنه ليس بجسم، وأن صفاته ليست أجساماً وأعراضاً، فنفى المعانى الثابتة بالشرع والعقل بنفى ألفاظ

(١) انظر الكتاب (١/١٨٠).

(٢) مجموع فتاوى (٤/١٥٢).

(٣) بيان تلبيس الجهمية (١/١٠١).

لم ينف معناها شرع ولا عقل جهل وضلال) أ.هـ.

الرد على ابن تيمية :

ويكفى فى تبرئة أئمة الحديث ما نقله الإمام أبو الفضل عبد الواحد بن عبد العزيز البغدادي التميمي رئيس لجنة الحنابلة ببغداد وابن رئيسها عن أحمد قال ^(١): (وأنكر أحمد على من يقول بالجسم وقال: إن الأسماء مأخوذة من الشريعة واللغة، وأهل اللغة وضعوا هذا الاسم على ذى طول وعرض وسمك وتركيب وصورة وتأليف والله تعالى خارج عن ذلك كله، فلم يجوز أن يسمى جسماً لخروجه عن معنى الجسمية، ولم يجزئ فى الشريعة ذلك فبطل) أ.هـ. ونقله الحافظ البيهقي عنه فى مناقب أحمد وغيره.

وهذا الذى صرح له أحمد من تنزيهه الله عن هذه الأشياء الستة هو ما قال به الأشاعرة والماتريدية وهم أهل السنة الموافقون لأحمد وغيره من السلف فى أصول

(١) اعتقاد الإمام أحمد (ص/٧-٨)، مخطوط.

المعتقد، فليعلم الفاهم أن نفى الجسم عن الله جاء به السلف، فظهر أن ما ادعاه ابن تيمية أن السلف لم يتكلموا في نفى الجسم عن الله غير صحيح، فينبغي استحضار ما قاله أحمد فإنه ينفذ في نفى تمويه ابن تيمية وغيره ممن يدعون السلفية والحديث.

وهذا البيهقي من رؤوس أهل الحديث يقول في كتاب الأسماء والصفات^(١) في باب ما جاء في العرش والكرسى عقب إيراده حديث: (أتدرون ما هذه التي فوقكم) ما نصه: (والذي روى في آخر هذا الحديث إشارة إلى نفى المكان عن الله تعالى، وأن العبد أينما كان في القرب والبعد من الله تعالى سواء، وأنه الظاهر فيصح إدراكه بالأدلة، والباطن فلا يصح كونه في مكان، واستدل بعض أصحابنا في نفى المكان عنه بقوله النبي: (أنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء)، وإذا لم يكن فوقه شيء ولا دونه شيء لم يكن في مكان) أ. هـ.

وقال الإمام الأشعري في كتاب النوادر: (من اعتقد أن

(١) الأسماء والصفات (ص/٤٠٠).

الله جسم فهو غير عارف بربه، وأنه كافر به) أ. هـ. وقال أبو الثناء اللامشي ما نصه^(١): وإذا ثبت أنه تعالى ليس بجوهر فلا يتصور أن يكون جسماً أيضاً لأن الجسم اسم للمتركب عن الأجزاء، يقال: (هذا أجسم من ذلك)، أي: أكثر تركيباً منه، وتركيب الجسم بدون الجوهرية وهي الأجزاء التي لا تتجزأ لا يتصور، ولأن الجسم لا يتصور إلا على شكل من الأشكال، ووجوده على جميع الأشكال لا يتصور أن يكون إذ الفرد لا يتصور أن يكون مطولاً ومدوراً ومثلثاً ومربعاً، ووجوده على واحد من هذه الأشكال مع مساواة غيره إياه في صفات المدح والذم لا يكون إلا بتخصيص مخصص، وذلك من أمارات الحدث، ولأنه لو كان جسماً لوقعت المشابهة والمماثلة بينه وبين سائر الأجسام في الجسمية، وقد قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (الشورى) أ. هـ. ثم قال ما نصه^(٢): (ثم إنهم ناقضوا في ما قالوا لأن

(١) التمهيد لقواعد التوحيد (ص/٥٦).

(٢) التمهيد لقواعد التوحيد (ص/٦٠).

الجسم اسم للمتركب لما مر، فإثبات الجسم إثبات التركيب ونفى التركيب نفى الجسم، فصار قولهم: (جسم لا كالأجسام) كقولهم: (متركب وليس بمتركب)، وهذا تناقض بين بخلاف قولنا: شئ لا كالأشياء، لأن الشئ ليس باسم للمتركب وليس ينبئ عن ذلك وإنما ينبئ عن مطلق الوجود، فلم يكن قولنا: لا كالأشياء، نفيا لمطلق الوجود بل يكون نفيا لما وراء الوجود من التركيب وغيره من أمارات الحدث، فلم يكن تناقضا والله الحمد والمنة. وإذا ثبت أن الله تعالى لا يوصف بالجسم فلا يوصف بالصورة أيضاً، لأن الصورة لا وجود لها بدون التركيب) أ.هـ.

قال القاضي أبو بكر الباقلاني ما نصه^(١): (فإن قالوا: ولم أنكرتم أن يكون الباري سبحانه جسماً لا كالأجسام كما أنه عندكم شئ لا كالأشياء؟ قيل لهم: لأن قولنا: (شئ) لم يبين لجنس دون جنس ولا لإفادة التأليف، فجاز وجود شئ ليس بجنس من أجناس الحوادث وليس بمؤلف،

(١) تمهيد الأوتل (ص/٢٢٢).

ولم يكن ذلك نقضا لمعنى تسميته بأنه شئ، وقولنا: (جسم) موضوع فى اللغة للمؤلف دون ما ليس بمؤلف، كما أن قولنا: (إنسان) و(محدث) اسم لما وجد عن عدم ولما له هذه الصورة دون غيرها، فكما لم يجز أن تثبت القديم سبحانه محدثاً لا كالمحدثات وإنساناً لا كالناس قياساً على أنه شئ لا كالأشياء لم يجز أن تثبته جسماً لا كالأجسام لأنه نقض لمعنى الكلام وإخراج له عن موضوعه وفائدته.

فإن قالوا: فما أنكرتم من جواز تسميته جسماً وإن لم يكن بحقيقة ما وضع له هذا الاسم فى اللغة؟ قيل لهم: أنكرنا ذلك لأن التسمية لو ثبتت لم تثبت له إلا شرعاً لأن العقل لا يقتضيها إذ لم يكن القديم سبحانه مؤلفاً، وليس فى شئ من دلائل السمع من الكتاب والسنة وإجماع الأمة وما يستخرج من ذلك ما يدل على وجوب هذه التسمية ولا على جوازها أيضاً فبطل ما قلتموه) أ.هـ.

قال سيف الدين الأمدى فى كتابه غاية المرام فى علم

الكلام^(١) ما نصه: (فإن قيل ما نشاهده من الموجودات ليس إلا أجساماً وأعراضاً، وإثبات قسم ثالث مما لا نعقله، وإذا كانت الموجودات منحصرة فيما ذكرناه فلا جائز أن يكون البارئ عرضاً، لأن العرض مفتقر إلى الجسم، والبارئ لا يفتقر إلى شيء، وإلا كان المفتقر إليه أشرف منه وهو محال، وإذا بطل أن يكون عرضاً بقي أن يكون جسماً، قلنا: منشأ الخبط ههنا إنما هو من الوهم بإعطاء الغائب حكم الشاهد والحكم على غير المحسوس بما حكم به على المحسوس، وهو كاذب غير صادق فإن الوهم قد يرتقى إلى أنه لا جسم إلا في مكان بناء على الشاهد، وإن شهد العقل بأن العالم لا في مكان لكون البرهان قد دل على نهايته، بل وقد يشتد وهم بعض الناس بحيث يقضى به على العقل، وذلك كمن ينفر عن المبيت في بيت فيه ميت لثوهمه أنه يتحرك أو يقوم وإن كان عقله يقضى بانتفاء ذلك، فإن اللبيب من ترك الوهم جانباً ولم يتخذ غير البرهان صاحباً، وإذا عرف أن مستند ذلك

(١) غاية المرام في علم الكلام (ص ١٨٥-١٨٦).

ليس إلا مجرد الوهم فطريق كشف الخيال إنما هو بالنظر في البرهان، فإننا قد بيننا أنه لا بد من موجود هو مبدأ الكائنات، وبيننا أنه لا جائز أن يكون له مثل من الموجودات شاهداً ولا غائباً، ومع تسليم هاتين القاعدتين يتبين أن ما يقضى به الوهم لا حاصل له، ثم لو لزم أن يكون جسماً كما في الشاهد للزم أن يكون حادثاً كما في الشاهد، وهو ممتنع لما سبق) أ.هـ.

وقال الفقيه المتكلم ابن المعلم القرشي في كتابه نجم المهتدى^(١) ما نصه: [والذي يعيد جسماً على عرش كبير ويجعل جسماً كقبر أبي قبيس سبعة أشبار بشبره كما حكى عن هشام الرافضي، أو كلاماً آخر تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم فقد عبد غير الله فهو كافر، وقال: إن قسماً من القائلين بالتحيز بالجهة أطلقوا الجسمية ومنعوا التأليف والتركيب وقالوا: (عنيث بكونه جسماً وجوده) وهؤلاء كفروا]. ثم قال: (قال الإمام أبو سعيد المتولى في كتاب غنية المقبول في علم الأصول: إن قالوا نحن نريد

(١) نجم المهتدى ورجم المعنى (ص/ ٥٤٤)، مخطوط.

ثانياً: زعمه أن الله يتكلم بحرف وصوت وأنه يتكلم إذا شاء ويسكت إذا شاء

ومن جملة افتراءات ابن تيمية على أئمة الحديث وأهل السنة والجماعة نقله عنهم أن الله متكلم بصوت نوعه قديم، أى: يحدث فى ذات الله شيئاً بعد شئ، قال فى كتابه رسالة فى صفة كلام^(١) ما نصه: (وحينئذ فكلامه قديم مع أنه يتكلم بمشيئته وقدرته، وإن قيل إنه ينادى ويتكلم بصوت ولا يلزم من ذلك قدم صوت معين، وإن كان قد تكلم بالتوراة والقرآن والإنجيل بمشيئته وقدرته لم يمتنع أن يتكلم بالباء قبل السين، وإن كان نوع الباء والسين قديماً لم يستلزم أن يكون الباء المعينة والسين المعينة قديمة لما علم من الفرق بين النوع والعين) أ.هـ.

وقال فى موضع^(٢) آخر منه: (وقال الشيخ الإمام أبو الحسن محمد بن عبد الملك الكرخى الشافعى فى كتابه الذى سماه الفصول فى الأصول: سمعت الإمام أبا

(١) انظر الكتاب (ص/ ٥١).

(٢) انظر الكتاب (ص/ ٥٤).

بقولنا جسم أنه موجود ولا نريد التأليف، قلنا: هذه التسمية فى اللغة ليس كما ذكرتم وهى منبئة عن المستحيل فلما أطلقتم ذلك من غير ورود سمع، وما الفصل بينكم وبين من يسميه جسداً ويريد به الوجود وإن كان يخالف مقتضى اللغة، قال أبو سعيد رحمه الله: فإن قيل أليس يسمى نفساً؟ قلنا: اتبعنا فيه السمع وهو قوله سبحانه: ﴿تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك﴾ (المائدة: ١١٦)، ولم يرد السمع بالجسم، وكذلك قال الإمام يعنى إمام الحرمين).

منصور محمد بن أحمد يقول: سمعت الإمام أبا بكر عبد الله بن أحمد يقول: سمعت الشيخ أبا حامد الإسفرايني يقول: مذهبي ومذهب الشافعي وفقهاء الأمصار أن القرآن كلام الله غير مخلوق ومن قال إنه مخلوق فهو كافر، والقرآن حمله جبريل عليه السلام مسموعاً من الله، والنبى ﷺ سمعه من جبريل، والصحابة سمعوه من رسول الله ﷺ، وهو الذى نتلوه نحن مقروءاً بالسنتنا، وفيما بين الدفتين وما فى صدورنا مسموعاً ومكتوباً ومحفوظاً ومقروءاً، وكل حرف منه كالباء والتاء كله كلام الله غير مخلوق، ومن قال مخلوق فهو كافر عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) أ.هـ.

وقال فى المنهاج^(١): (وسابعا قول من يقول إنه لم يزل متكلماً إذا شاء بكلام يقوم به، وهو متكلم بصوت يسمع، وإن نوع الكلام قديم وإن لم يجعل نفس الصوت المعين قديماً، وهذا هو المأثور عن أئمة الحديث والسنة، وبالجملة أهل السنة والجماعة أهل الحديث) أ.هـ.

(١) أنظر المنهاج (١/٢٢١).

وقال فى الموافقة^(١) ما نصه: (وإذا قال السلف والأئمة إن الله لم يزل متكلماً إذا شاء، فقد أثبتوا أنه لم يتجدد له كونه متكلماً، بل نفس تكلمه بمشيئته قديم وإن كان يتكلم شيئاً بعد شئ، فتعاقب الكلام لا يقتضى حدوث نوعه إلا إذا وجب تناهى المقدورات المرادات) أ.هـ.

ثم قال فيه ما نصه^(٢): (فلما رجع موسى إلى قومه قالوا له: صف لنا كلام ربك، فقال: سبحان الله وهل أستطيع أن أصفه لكم، قالوا: فشبّهه، قال: هل سمعتم أصوات الصواعق التى تقبل فى أحلى حلاوة سمعتموها فكأنه مثله) أ.هـ.

وقال فى الموافقة ما نصه^(٣): (وحينئذ فيكون الحق هو القول الآخر، وهو أنه لم يزل متكلماً بحروف متعاقبة لا مجتمعة) أ.هـ.

(١) أنظر الموافقة (٢/١٤٣).

(٢) أنظر الموافقة (٢/١٥١).

(٣) أنظر الموافقة (٤/١٠٧).

وقال فى فتاويه ما نصه^(١): (فعلم أن قدمه عنده أنه لم يزل إذا شاء تكلم وإذا شاء سكت، لم يتجدد له وصف على الكلام التى هى صفة كمال، كما لم يتجدد له وصف القدرة على المغفرة، وإن كان الكمال هو أن يتكلم إذا شاء ويسكت إذا شاء) أ.هـ.

وقال فيه أيضا ما نصه^(٢): (وفى الصحيح: (إذا تكلم الله بالوحى سمع أهل السموات كجر السلسلة على الصفوان)، فقلوه: (إذا تكلم الله بالوحى سمع) يدل على أنه يتكلم به حين يسمونه، وذلك ينفى كونه أزلما، وأيضا فما يكون كجر السلسلة على الصفا، يكون شيئا بعد شئٍ والمسبوق بغيره لا يكون أزلما) أ.هـ.

وقال أيضا ما نصه^(٣): (وجمهور المسلمين يقولون: إن القرآن العربى كلام الله، وقد تكلم الله به بحرف وصوت، فقالوا: إن الحروف والأصوات قديمة الأعيان،

(١) مجموع الفتاوى (٦/ ١٦٠).

(٢) مجموع الفتاوى (٦/ ٢٣٤).

(٣) مجموع الفتاوى (٥/ ٥٥٦-٥٥٧).

أو الحروف بلا أصوات، وإن الباء والسين والميم مع تعاقبها فى ذاتها فهى أزلية الأعيان لم تزل ولا تزال كما بسطت الكلام على أقوال الناس فى القرآن فى موضع آخر) أ.هـ.

وقال فى مجموعة تفسير ما نصه^(١): (وقولهم (إن المحدث يفتقر إلى إحداث وهلم جرا) هذا يستلزم التسلسل فى الآثار مثل كونه متكلما بكلام بعد كلام، وكلمات الله لا نهاية لها، وإن الله لم يزل متكلما إذا شاء، وهذا قول أئمة السنة، وهو الحق الذى يدل عليه النقل والعقل) أ.هـ.

الرد على ابن تيمية :

لا يغتر مطالع كتبه بنسبة هذا الرأى الفاسد إلى أئمة أهل السنة، وذلك دأبه أن ينسب رأيه الذى يراه ويهواه إلى أئمة السنة، وليعلم الناظر فى مؤلفاته أن هذا تلبيس وتمويه محض يريد أن يروجه على ضعفاء العقول الذين لا يوفقون بين العقل والنقل، وقد قال الموفقون من أهل

(١) مجموعة تفسير ست سور (ص/ ٣١١).

الحديث وغيرهم: إن ما يحيله العقل فلا يصح أن يكون هو شرع الله، كما قال ذلك الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي: إن الشرع لا يأتي إلا بمجوزات العقول، وبهذا يرد الخبر الصحيح الإسناد، أي: إذا لم يقبل التأويل كما قاله علماء المصطلح في بيان ما يعلم به كون الحديث موضوعا، وأيدوا ذلك بأن العقل شاهد الشرع، فكيف يرد الشرع بما يكذبه شاهده.

فمن قال: إن الله يتكلم بصوت، وقال: إنه صوت أزلى أبدى ليس فيه تعاقب الحروف فلا يكفر، إن كان نيته كما يقول، وإلا فهو كافر كسائر المشبهة.

وأما أحاديث الصوت فليس ما يحتج به في العقائد، وقد ورد في حديث مختلف في بعض رواياته وهو عبد الله ابن محمد بن عقيل^(١)، روى حديثه

(١) راجع ترجمته في: الضعفاء الكبير (٢/٢٩٨)، الكامل (٤/١٤٤٦)، المجروحين (٢/٣)، سؤالات ابن أبي شيبة لابن المديني (ص/٨٨)، أحوال الرجال (ص/١٣٨)، الضعفاء والمتروكين لابن الجوزي (٢/١٤٠)، الجرح والتعديل

البخاري^(١) بصيغة التمريض، قال: (ويذكر) وفيه: (فينادي بصوت فيسمعه من بعد كما يسمعه من قرب، أنا الملك أنا الديان)، وإنما ذكره البخاري بصيغة التمريض من أجل راويه هذا، قال الحافظ ابن حجر^(٢): (ونظر البخاري أدق من أن يعترض عليه بمثل هذا فإنه حيث ذكر الارتحال فقط جزم به لأن الإسناد حسن وقد اعتضد، وحيث ذكر طرفا من المتن لم يجزم به لأن لفظ الصوت مما يتوقف في إطلاق نسبتته إلى الرب ويحتاج إلى تأويل، فلا يكفي فيه مجيء الحديث من طريق مختلف فيها ولو اعتضدت) أ.هـ. أي لا يكفي ذلك في مسائل الاعتقاد،

(١) (١٥٣/٥)، المغنى (١/٣٥٤)، تهذيب التهذيب (٦/١٣)، الكاشف (٢/١١٣)، ميزان الاعتدال للذهبي (٣/٤٨٤)، التاريخ الكبير (٥/١٨٣).

(٢) أخرجه البخاري عن ابن عقيل في الأدب المفرد: باب المعانقة، وأخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التوحيد: باب قوله تعالى: ﴿ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له﴾ الآية.. ذكره تعليقا بغير إسناد.

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (١/١٧٤ - ١٧٥).

وإن كان البخارى ذكر أوله فى كتاب العلم^(١) بصيغة الجزم لأنه ليس فيه ذكر الصوت، إنما فيه ذكر رحيل جابر بن عبد الله إلى عبد الله بن أنيس من المدينة المنورة إلى مصر.

والحديث الآخر^(٢) عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال: قال النبى صلى الله عليه وسلم: (يقول الله يوم القيامة: يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك، فينادى بصوت: إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثنا إلى النار)، هذا اللفظ رواه البخارى على وجهين، بعضهم رواه بكسر الدال، وبعضهم رواه بفتح الدال.

قال الحافظ ابن حجر^(٣): (ووقع فينادى مضبوطاً للأكثر بكسر الدال، وفى رواية أبى ذر بفتحها على البناء

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه تعليقا: كتاب العلم: باب الخروج فى طلب العلم.

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه: كتاب التوحيد: باب «ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له» الآية.

(٣) فتح البارى (١٣/٤٦٠).

للمجهول، ولا محذور فى رواية الجمهور، فإن قرينة قوله: إن الله يأمرك، تدل ظاهرا على أن المنادى ملك يأمره الله بأن ينادى بذلك) أ.هـ. وهذا الحديث رواه البخارى موصولا مسندا، لكنه ليس صريحا فى إثبات الصوت صفة لله فلا حجة فيه لذلك للصوتية.

قال الحافظ ابن حجر^(١): قال البيهقى: اختلف الحفاظ فى الاحتجاج بروايات ابن عقيل لسوء حفظه، ولم يثبت لفظ الصوت فى حديث صحيح عن النبى غير حديثه، فإن كان ثابتا فإنه يرجع إلى غيره فى حديث ابن مسعود^(٢)

(١) أنظر فتح البارى (١٣/٤٥٨).

(٢) يعنى به قوله: (إذا تكلم بالوحي سمع أهل السموات شيئا، فإذا فزع عن قلوبهم وسكن الصوت عرفوا أنه الحق، ونادوا ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحق) - رواه البخارى - وفى حديث أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إذا قضى الله الأمر فى السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله، كأنه سلسلة على صفوان، قال على وقال غيره: صفوان ينفذهم ذلك، فإذا فزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحق وهو العلى الكبير) - رواه البخارى -.

وفى حديث أبى هريرة أن الملائكة يسمعون عند حصول الوحي صوتاً، فيحتمل أن يكون الصوت للسماء أو للملك الآتى بالوحي أو لأجنحة الملائكة، وإذا احتتمل ذلك لم يكن نصاً فى المسألة، وأشار - يعنى البيهقى - فى موضع آخر إلى أن الراوى أراد فينادى نداء فعبر عنه بصوت). انتهى.

قال الكوثرى فى مقالاته^(١) ما نصه: (ولم يصح فى نسبة الصوت إلى الله حديث) أ.هـ.

وكذا قال البيهقى فى الأسماء والصفات^(٢)، فليس فيها ما يصح الاحتجاج بها لإثبات الصفات لأن حديث الصفات لا يقبل إلا أن يكون رواه كلهم متفقاً على توثيقهم، وهذه الروايات المذكورة فى فتح البارى فى كتاب التوحيد ليست على هذا الشرط الذى لابد من حصوله لأحاديث الصفات كما ذكره صاحب الفتح فى كتاب العلم. لكنه خالف فى موضع بما أورده فى كتاب

(١) انظر المقالات (ص/٣٢).

(٢) الأسماء والصفات (ص/٢٧٣).

التوحيد من قوله: بعد صحة الأحاديث يتعين القول بإثبات الصوت لله ويؤول على أنه صوت لا يستلزم المخارج.

ثم قال الكوثرى: (وقد أفاض الحافظ أبو الحسن المقدسى شيخ المنذرى فى رسالة خاصة فى تبيين بطلان الروايات فى ذلك، زيادة على ما يوجب الدليل العقلى القاضى بتزيه الله عن حلول الحوادث فيه سبحانه، وإن أجاز ذلك الشيخ الحرانى^(١) تبعاً لابن ملكا اليهودى الفيلسوف المتمسلم، حتى اجترأ على أن يزعم أن اللفظ حادث شخصاً قديماً نوعاً، يعنى أن اللفظ صادر منه تعالى بالحرف والصوت فيكون حادثاً حتماً، لكن ما من لفظ إلا وقبله لفظ صدر منه إلى ما لا أول له فيكون قديماً بالنوع، ويكون قدمه بهذا الاعتبار فى نظر هذا المخرف، تعالى الله عن إفك الأفاكين، ولم يدر المسكين بطلان القول بحلول الحوادث فى الله جل شأنه، وأن القول بحوادث لا أول لها هذيان، لأن الحركة انتقال من حالة إلى حالة، فهى تقتضى بحسب ماهيتها كونها مسبوقه بالغير، والأزل

(١) يعنى ابن تيمية، نسبة إلى حران.

ينافى مسبقا بالغير، فوجب أن يكون الجمع بينهما محالا، ولأنه لا وجود للنوع إلا فى ضمن أفراد، فادعاء قدم النوع مع الاعتراف بحدوث الأفراد يكون ظاهر البطلان. وقد أجاد الرد عليه العلامة قاسم فى كلامه على المسائرة) أ. هـ.

وقد ذكر الفقيه المتكلم ابن المعلم القرشى فى كتابه نجم المهتدى ورجم المعتدى أثناء ترجمة الحافظ ناصر السنة أبى الحسن على بن أبى المكارم المقدسى المالكي ما نصه^(١): (كان صحيح الاعتقاد مخالفا للطائفة التى تزعم أنها أثرية، صنف كتابه المعروف بكتاب الأصوات أظهر فيه تضعيف رواة أحاديث الأصوات وأوهامهم، وحكى الشيخ تقى الدين شرف الحفاظ عن والده مجد الدين قال بأنه بلغ رتبة المجتهدين) أ. هـ.

فلا يصح حمل ما ورد فى النص من النداء المضاف إلى الله تعالى فى حديث: (يحشر الله العباد فيناديهم بصوت..) على الصوت على معنى خروجه من الله،

(١) نجم المهتدى ورجم المعتدى (ص/٢٤٩)، مخطوط.

فتمسك المشبهة بالظاهر لاعتقاد ذلك تمويه لا يروج إلا عند سخفاء العقول الذين حرموا منفعة العقل الذى جعل الشرع له اعتبارا، وهل عرفت المعجزة أنها دليل على صحة نبوة من أتى بها من الأنبياء إلا بالعقل؟.

وقال - أى الكوثرى- فى تعليقه على السيف الصقيل ما نصه^(١): (وحديث جابر المعلق فى صحيح البخارى مع ضعفه فى سياق ما بعده من حديث أبى سعيد ما يدل على أن المنادى غير الله حيث يقول: .. فينادى بصوت إن الله يأمرك..) فيكون الإسناد مجازيا، على أن الناظم- يعنى ابن زفيل وهو ابن قيم الجوزية- ساق فى (حادى الأرواح) بطريق الدار قطنى حديثا فيه: (يبعث الله يوم القيامة مناديا بصوت..) وهذا نص من النبى ﷺ على أن الإسناد فى الحديث السابق مجازى، وهكذا يخرب الناظم بيته بيده وبأيدى المسلمين، وللحافظ أبى الحسن المقدسى جزء فى تبين وجوه الضعف فى أحاديث الصوت فليراجع ثمة) أ. هـ.

(١) انظر الكتاب (ص/ ٥٢).

وهناك حديث آخر^(١): (إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السموات شيئاً)، ورواه أبو داود^(٢) بلفظ: (سمع أهل السماء للسماء صلصلة كجر السلسلة على صفوان)، وهذا قد يحتج به المشبهة، وليس لهم فيه حجة لأن الصوت خارج من السماء، فالحديث فسر الحديث بأن الصوت للسماء، فتبين أن قول الحافظ ابن حجر في موضع من الشرح: إن إسناد الصوت إلى الله ثبت بهذه الأحاديث الصحيحة فيه نظر فليتأمل.

قال الشيباني في شرح الطحاوية^(٣) ما نصه: (والحرف والصوت مخلوق، خلق الله تعالى ليحصل به التفاهم والتخاطب لحاجة العباد إلى ذلك، أي: الحروف والأصوات، والبارئ سبحانه وتعالى وكلامه مستغن عن ذلك، أي: عن الحروف والأصوات، وهو معنى قوله:

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه: كتاب التوحيد: باب قوله تعالى:

﴿ولا تتفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له﴾ الآية

(٢) أخرجه أبو داود فى سننه: كتاب السنة: باب فى القرآن.

(٣) شرح الطحاوية (ص/١٤)، مخطوط.

(ومن وصف الله تعالى بمعنى من معانى البشر فقد كفر) أ.هـ.

فإذا قال قائل: إن بعض اللغويين قال: النداء الصوت، قلنا: ليس مراد من قال ذلك أن النداء لا يكون فى لغة العرب فى جميع الموارد إلا بالصوت، وإنما المراد أنه فى غالب الاستعمال يكون بالصوت، وقد قال آخرون من اللغويين: النداء طلب الإقبال، فليعلم المغفلون الآن ما جهلوه من أن قول السلف عند تلك الآيات وتلك الأحاديث بلا كيف معناه على ما يفهمه الناس من صفات المخلوقين، ولو كان يصح أن يكون قول الله تعالى: ﴿جاء ربك﴾ (الفجر: ٢٢). المجيء المعهود من الخلق ما قال الإمام أحمد فى هذه الآية: ﴿جاء ربك﴾ إنما جاءت قدرته.

قال القرطبي فى التذكرة ما نصه^(١) فصل: قوله فى الحديث: (فيناذهبهم بصوت) استدل به من قال بالحرف والصوت، وأن الله يتكلم بذلك، تعالى عما يقول

(١) التذكرة فى أحوال الموتى وأمور الآخرة (ص٣٢٨-٣٢٩).

المجسمون والجاحدون علوا كبيرا، وإنما يحمل النداء المضاف إلى الله تعالى على نداء بعض الملائكة المقربين بإذن الله تعالى وأمره، ومثل ذلك سائغ في الكلام غير مستنكر أن يقول القائل: نادى الأمير، وبلغنى نداء الأمير، كما قال تعالى: ﴿ونادى فرعون فى قومه﴾ (الزخرف: ٥١). وإنما المراد نادى المنادى عن أمره، وأصدر نداءه عن إذنه، وهو كقولهم أيضا: قتل الأمير فلانا، وضرب فلانا، وليس المراد توليه لهذه الأفعال، وتصديه لهذه الأعمال، ولكن المقصود صدورها عن أمره، وقد ورد فى صحيح الأحاديث أن الملائكة ينادون على رؤوس الأشهاد فيخاطبون أهل التقى والرشاد: ألا إن فلان ابن فلان.. كما تقدم.

ومثله ما جاء فى حديث النزول مفسرا فيما أخرجه النسائى عن أبى هريرة رضي الله عنه وأبى سعيد قالوا: قال رسول الله: (إن الله عز وجل يمهل حتى يمضى شطر الليل الأول ثم يأمر مناديا يقول: هل من داع يستجاب له، هل من مستغفر يغفر له، هل من سائل يعطى) صححه أبو

محمد عبد الحق، وكل حديث اشتمل على ذكر الصوت أو النداء فهذا التأويل فيه، وأن ذلك من باب حذف المضاف، والدليل على ذلك ما ثبت من قدم كلام الله تعالى على ما هو مذكور فى كتب الديانات.

فإن قال بعض الأغبياء: لا وجه لحمل الحديث على ما ذكرتموه فإن فيه: (أنا الديان)، وليس يصدر هذا الكلام حقا وصدقا إلا من رب العالمين؟ قيل له: إن الملك إذا كان يقول عن الله تعالى وينبئ عنه فالحكم يرجع إلى الله رب العالمين، والدليل عليه أن الواحد منا إذا تلا قول الله تعالى: ﴿إنى أنا الله﴾ (طه: ١٤). فليس يرجع إلى القارئ وإنما القارئ ذاكرك لكلام الله تعالى، ودل عليه بأصواته وهذا بين) أ.هـ.

وهذا له أيضا دليل قوى فى الصحيح^(١) فى حديث المعراج الذى ذكر فيه تخفيف الخمسين صلاة إلى خمس قوله ﷺ: (فلما جاوزت نادانى مناد: أمضيت فريضتى

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه: كتاب مناقب الأنصار، باب المعراج.

وخفت عن عبادي)، فما أراد رسول الله ﷺ بقوله: (ناداني) إلا الملك. فإذا ثبت هذا النداء من الملك مبلغاً عن الله فلا يمتنع أن ينادى الملك بتلك الجمل الثلاث: (هل من داع يستجاب له، هل من مستغفر يغفر له، هل من سائل يعطى)، فبطل استتكار أن يكون هذا اللفظ من الملك في حديث النزول، فأين تذهب المشبهة؟!.

قال الشيخ شرف الدين بن التلمساني في شرح لمع الأدلة للجويني ما نصه^(١): (وقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إني زورت في نفسي كلاماً.

الطرف الثالث: إذا أطلق الكلام على المعنى القائم بالذات واللفظ الدالة عليه فهل هو حقيقة فيهما معاً أو حقيقة في اللفظ مجاز في القائم بالذات أو العكس اختلفوا في ذلك، فنقل عن الشيخ أبي الحسن قولان أحدهما: إنه حقيقة في المعنى القائم بالذات مجاز في العبارات من مجاز إطلاق الدليل على المدلول، والقول الثاني: إنه حقيقة فيهما لاستعماله فيهما جميعاً، والأصل

(١) شرح لمع الأدلة (ص/٧١)، مخطوط.

في الإطلاق الحقيقة وصار غيره إلى أنه حقيقة في العبارات لتبادرها إلى الفهم عند الإطلاق وعدم القرائن، ومجاز في المعنى القائم بالذات، ولا يبعد أن يكون حقيقة لغوية في المعنى القائم بالذات، ومجازاً في الألفاظ أ.هـ.

ثم قال أيضاً ما نصه^(١): الفرقة الثانية: وهم الكرامية زعموا أنا الباري تعالى تقوم به الأقوال المركبة من الحروف والأصوات، قالوا: ولا يكون قابلاً بها وإنما هو قابل للقابلية، وفسروا القابلية بالقدرة على القول، وكذلك أثبتوا له مشيئة قديمة وإرادات حادثة تقوم به، قالوا: وإذا أراد الله تعالى إحداث محدث في الوجود خلق بذاته كافاً ونونا وإرادة يوجب بها ما هو خارج عن ذاته أخذاً من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (يس: ٨٢)، وما ذكروه من قيام الحوادث بذاته يلزم منه حدوثه، فإن كل ما قبل الحوادث لا يخلو عنها وما لا يخلو عن الحوادث حادث، وأما الآية فهي إشارة

(١) شرح لمع الأدلة (ص/٦٤-٦٥)، مخطوط.

إلى سرعة وقوع المراد فعبر عن القصد إلى الإيقاع بالأمر، وعن الوقوع بصورة الامتثال) أ.هـ.

وتبع ابن تيمية الكرامية في ذلك في قوله: إن الله تقوم به كلمات تحدث في ذاته من وقت بعده وقت وهكذا على الاستمرار، يقول: فكلامه تعالى قديم النوع حادث الأفراد كما قالت الكرامية، وينسب هذا المذهب الردئ الذي أخذه من الكرامية إلى أئمة أهل الحديث، وأئمة أهل الحديث على خلاف ما يدعيه وما يقول، فإن معتقدهم أن ذات الله تعالى لا تحدث فيه صفة تتجدد من وقت إلى وقت، تتجدد في مرور الأوقات، ويكفي في ذلك ما ذكره الحافظ الطحاوي الشهير ناسبا ذلك إلى معتقد أبي حنيفة وصاحبيه ومن كان في تلك العصور من الأئمة، لأنه ألف عقيدته هذه المشهورة لبيان ما عليه أهل السنة وليس لبيان ما هو معتقده الخاص.

وأما ما احتج به ابن تيمية موهما أن أئمة الحديث على ذلك فإنما هو قول بعض المشبهة من الحنابلة وغيرهم، وليس هؤلاء الذين يعتمد عليهم في تلك المنزلة في

الحديث لأنه يعتمد على مثل أبي إسماعيل الهروى السجزي وعثمان بن سعيد الدارمي، وأما ما يذكره عن ابن المبارك فهو غير ثابت إسنادا، وقد نص أبو حنيفة رضي الله عنه على أن الله تعالى متكلم بكلام ليس حرفا ولا صوتا، وكل الحفاظ المنتسبين إلى مذهبه على هذا، وكذا الحفاظ المشاهير المنتسبون إلى الشافعي على هذا، وكذلك حفاظ المالكية، ومتقدمو الحنابلة، فكيف تجرأ ابن تيمية على نسبة هذا إلى أئمة الحديث موهما أن هذا مما أجمعوا عليه، وكثيراً ما ينقل اتفاق العلماء على أشياء انفرد هو بها.

ويكفي أهل السنة دليلاً على أن الله تعالى لا يتكلم بالحرف والصوت ما أنزله الله في القرآن وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ (التكوير: ١٩). يعني أن القرآن الذي هو اللفظ المنزل مقروء جبريل ليس مقروء الله، وإلى هذا أشار الطحاوي في عقيدته بقوله: (وأن القرآن كلام الله منه بدا بلا كيفية قولاً)، والمراد بقوله: (بلا كيفية قولاً) نفي أن يكون الله تعالى يتكلم بالحرف

ضلالة المشبهة أنهم قاسوا ذاته الذى ليس حجما وجسما بذوات الخلق فأثبتوا له الحيز والشكل، وقاسوا صفاته بصفات خلقه فجعلوها حادثة وهذا يشهد عليهم بأنهم لم يفهموا قول الله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ .

فائدة جلية :

من الدليل على أن اللفظ المنزل المتألف من الحروف لا يجوز أن يكون كلام الله الأزلى القائم بذاته ما ثبت أن الله تعالى يكلم كل فرد من أفراد العباد يوم القيامة، فلو كان الله تبارك وتعالى يكلمهم بصوت وحرف لم يكن حسابه لعباده سريعا، والله تبارك وتعالى وصف نفسه بأنه سريع الحساب.

ولو كان كلام الله تعالى بحرف وأصوات لكان أبطأ الحاسبين، وهذا ضد الآية التى فيها أن الله أسرع الحاسبين قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ (الأنعام: ٦٢). فلا يتحقق معنى أسرع الحاسبين إلا على مذهب أهل السنة أن الله تكلم بكلام أزلى بغير حرف ولا صوت.

والصوت كما يتكلم العباد لأنه هو الذى نفاه بقوله: (بلا كيفية)، وإلا فلو كان الله قرأ القرآن على جبريل بالحرف والصوت لم يقل (بلا كيفية) لأن الحروف كفيات، سبحان الله الذى يقفل قلوب من شاء من عباده عن فهم الحق.

وأما قول الطحاوى: (منه بدا)، فليس معناه أن الله أحدثه فى ذاته بعد أن لم يكن يتكلم به، إنما معناه منزل من عنده، أى نزل به جبريل بأمر الله.

وأما قول الله تعالى: ﴿ما نفدت كلمات الله﴾ (لقمان: ٢٧). فالجمع ليس لأن كلام الله حروف متعاقبة، إنما ذكر بالجمع فى الآية للتعظيم، أى: لتعظيم كلامه كما قال البيهقى فى الأسماء والصفات^(١) مع كونه فى الحقيقة واحدا لا تعدد فيه، شامل لكل متعلقاته من الواجب والجائز والمستحيل، لأن الكلام معناه الإخبار والذكر، ولا يفاص صفة من صفات الله بصفات غيره، فمن قاس كلام الله الأزلى الشامل للواجب العقلى والجائز العقلى والمستحيل العقلى على كلام العباد فقد شبهه بخلقته، ومنشأ

(١) الأسماء والصفات (ص/ ٣١٣).

وذلك لأن عدد الجن والإنس كثير لا يحصيهم إلا الله،
ومن الجن من يعيش آلافاً من السنين، ومن الإنس من
عاش ألف سنة فأكثر.

ومنهم أيضا يأجوج ومأجوج كما ورد في الحديث أنهم
من ولد آدم، وورد أنهم أكثر أهل النار كما روى
البخارى، وورد أنه لا يموت أحدهم حتى يلد ألفاً لصلبه
كما رواه ابن حبان والنسائي^(١) وهؤلاء يحاسبهم الله على
أقوالهم مع كثرتهم الكثيرة ويكلم الله كل فرد منهم تكليماً
بلا ترجمان، ويحاسبهم على عقائدهم ونواياهم وأفعالهم،
فلا بد أن يأخذ حسابهم على موجب قول المشبهة الذين
يقولون كلام الله حرف وصوت يتكلم من وقت إلى وقت،
ثم من وقت إلى وقت مدة واسعة جداً، فعلى موجب
كلامهم يستغرق ذلك جملة مدة القيامة التي هي خمسون
ألف سنة، وعلى قولهم هذا لم يكن الله أسرع الحاسبين
وهو وصف نفسه بأنه أسرع الحاسبين كما تقدم، فقول

(١) انظر الإحسان (١/٢٩٢)، والسنن الكبرى: كتاب التفسير:
تفسير سورة الأنبياء.

المشبهة يؤدي إلى خلاف القرآن وذلك محال، وما أدى
إلى المحال محال.

وأما قول أهل السنة: إن كلام الله ليس متجزئاً،
فيفهمون من كلامه الذي ليس بحرف وصوت وغير
متجزئ في ساعة واحدة^(١)، فيتحقق على ذلك أنه أسرع
الحاسبين.

فائدة أخرى: قال الشيخ الإمام المتكلم ابن المعلم
القرشى في كتابه نجم المهتدى^(٢) ما نصه: (قال الشيخ
الإمام أبو علي الحسن بن عطاء في أثناء جواب عن
سؤال وجه إليه سنة إحدى وثمانين وأربعمائة: الحروف
مسبوق بعضها ببعض، والمسبوق لا يتقرر في العقول أنه
قديم، فإن القديم لا ابتداء لوجوده، وما من حرف وصوت
إلا وله ابتداء، وصفات البارئ جل جلاله قديمة لا ابتداء
لوجودها، ومن تكلم بالحروف يترتب كلامه، ومن ترتب

(١) والمراد بها جزء قليل لا الساعة الزمنية المعتادة في محاورات
الناس اليوم.

(٢) نجم المهتدى ورجم المعتدى (ص/٥٥٩)، مخطوط.

كلامه يشغله كلام عن كلام، والله تبارك وتعالى لا يشغله كلام عن كلام، وهو سبحانه يحاسب الخلق يوم القيامة في ساعة واحدة، فدفعة واحدة يسمع كل واحد من كلامه خطابه إياه، ولو كان كلامه بحرف ما لم يتفرغ عن يا إبراهيم، ولا يقدر أن يقول يا محمد، فيكون الخلق محبوسين ينتظرون فراغه من واحد إلى واحد وهذا محال) أ.هـ.

فالحاصل: أنه ليس في إثبات الصوت لله تعالى حديث مع الصحة المعتمدة في أحاديث الصفات، لأن أمر الصفات يحتاط فيه ما لم يحتاط في غيره، ويدل على ذلك رواية البخاري القدر الذي ليس فيه ذكر الصوت من حديث جابر هذا بصيغة الجزم، وروايته للقدر الذي فيه ذكر الصوت بصيغة التمريض، فتحصل أن في أحاديث الصفات مذهبين:

أحدهما: اشتراط أن يكون في درجة المشهور، وهو ما رواه ثلاثة عن ثلاثة فأكثر، وهو ما عليه أبو حنيفة وأتباعه من الماتريديّة، وقد احتج أبو حنيفة رضي الله عنه في رسائله

التي ألفها في الاعتقاد بنحو أربعين حديثاً من قبيل المشهور.

والثاني: ما ذهب إليه أهل التنزيه من المحدثين، وهو اشتراط أن يكون الراوي متقفاً على ثقته.

فهذان المذهبان لا بأس بكليهما، وأما الثالث وهو ما نزل عن ذلك فلا يحتج به لإثبات الصفات.

وهناك قاعدة تناسب هذا المطلب وهي ما ذكرها الحافظ الخطيب أبو بكر البغدادي قال: (يرد الحديث الصحيح لأمر: أن يخالف القرآن أو السنة المتواترة، أو العقل) قال: (لأن الشرع لا يأتي إلا بمجوزات العقول)^(١)، والخطيب البغدادي^(٢) أحد حفاظ الحديث السبعة الذين نوه علماء الحديث في كتب المصطلح بهم، وهم أصحاب الكتب الخمسة والبيهقي وهذا الخطيب البغدادي، وهو

(١) الفقيه والمتفقه (١/١٣٢-١٣٣).

(٢) هو الإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي البغدادي، صاحب التصانيف، ولد سنة ٣٩٢هـ، وله رحلا عديدة، ومؤلفات كثيرة، توفي سنة ٤٦٣هـ.

مذكور في كتاب تدريب الراوى^(١) من كتب مصطلح الحديث وغيره، وللذهبي عبارة موافقة للمذهب الثاني من المذاهب الثلاثة، وإن كان يتساهل بإيراد أحاديث غير ثابتة وأثار من كلام التابعين ونحوهم من غير تبيين لحالها من حيث الإسناد والمتن في بعض ما يذكره، وذلك في كتابه (العلو للعلو الغفار) فليحذر فإن ضرره على مطالعه عظيم.

قال الإمام الإسفرايني ذاكرا أهل السنة والجماعة ما نصه^(٢): (وأن تعلم أن كلام الله تعالى ليس بحرف ولا صوت لأن الحرف والصوت يتضمنان جواز التقدم والتأخر، وذلك مستحيل على القديم سبحانه) أ.هـ.

وقال ملا على القارئ في شرح الفقه الأكبر ما نصه^(٣): (ومبتدعة الحنابلة قالوا: كلامه حروف وأصوات تقوم بذاته وهو قديم، وبالغ بعضهم جهلا حتى قال: الجلد

(١) تدريب الراوى (١/٢٧٦).

(٢) التبصير في الدين (ص/١٠٢).

(٣) شرح الفقه الأكبر (ص/٢٩-٣٠).

والقرطاس قديمان فضلا عن الصحف، وهذا قول باطل بالضرورة ومكابرة للحس للإحساس بتقدم الباء على السين في بسم الله ونحوه) أ.هـ.

وقال أيضا ما نصه^(١): (وقد ذكر المشايخ رحمهم الله تعالى أنه يقال: القرآن كلام الله غير مخلوق، ولا يقال القرآن غير مخلوق لئلا يسبق إلى الفهم أن المؤلف من الأصوات والحروف قديم كما ذهب إليه بعض جهلة الحنابلة) أ.هـ.

(١) شرح الفقه الأكبر (ص/٤١).

ثالثاً: قوله بالانتقال والحركة والنزول في حق الله تعالى

أما قول ابن تيمية بنسبة الحركة في حق الله تعالى فقد ذكر في كتابه المنهاج ما نصه^(١): (فإننا نقول إنه يتحرك وتقوم به الحوادث والأعراض فما الدليل على بطلان قولنا؟) أ.هـ.

وقال في الموافقة ناقلاً كلام الدارمي المجسم ما نصه^(٢): (لأن الحى القيوم يفعل ما يشاء، ويتحرك إذا شاء، ويهبط ويرتفع إذا شاء، ويقبض ويبسط ويقوم ويجلس إذا شاء، لأن أماره ما بين الحى والميت المتحرك، كل حى متحرك لا محالة، وكل ميت غير متحرك لا محالة) أ.هـ.

وقال فيه أيضاً ما نصه^(٣): (وأئمة السنة والحديث على إثبات النوعين وهو الذى ذكره عنهم من نقل مذهبهم

(١) انظر الكتاب (١/٢١٠).

(٢) انظر الكتاب (٢/٢٦).

(٣) انظر الموافقة (٢/٤-٥).

كحرب الكرمانى وعثمان بن سعيد الدارمى وغيرهما، بل صرح هؤلاء بلفظ الحركة وأن ذلك هو مذهب أئمة السنة والحديث من المتقدمين والمتأخرين، وذكر حرب الكرمانى أنه قول من لقيه من أئمة السنة كأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وعبد الله بن الزبير الحميدى وسعيد ابن منصور، وقال عثمان بن سعيد وغيره: إن الحركة من لوازم الحياة فكل حى متحرك، وجعلوا نفى هذا من أقوال الجهمية نفاة الصفات) أ.هـ.

أما قوله بالنزول في حق الله تعالى فقد ذكره في كتابه شرح حديث النزول فقال ما نصه^(١): (لكن هذا النور والبركة والرحمة التى فى القلوب هى من آثار ما وصف به نفسه من نزوله بذاته سبحانه وتعالى كما وصف نفسه بالنزول عشية عرفة فى عدة أحاديث صحيحة) أ.هـ.

وقال فى كتابه المنهاج ما نصه^(٢): (ثم إن جمهور أهل السنة يقولون: إنه ينزل ولا يخلو منه العرش كما نقل ذلك

(١) شرح حديث النزول (ص/٣٨).

(٢) انظر الكتاب (١/٢٦٢).

عن إسحاق بن راهويه وحماد بن زيد وغيرهما، ونقلوه عن أحمد بن حنبل في رسالته (أ.هـ).

وقال في كتابه شرح حديث النزول وكتابه الفتاوى ما نصه^(١): (والقول الثالث وهو الصواب وهو المأثور عن سلف الأمة وأئمتها: أنه لا يزال فوق العرش ولا يخلو العرش منه مع دنوه ونزوله إلى السماء الدنيا ولا يكون العرش فوقه) أ.هـ.

وقال في كتابه شرح حديث النزول أيضا^(٢): (وحينئذ فإذا قال السلف والأئمة كحماد بن زيد وإسحاق بن راهويه وغيرهما من أئمة أهل السنة إنه ينزل ولا يخلو منه العرش لم يجز أن قال: إن ذلك ممتنع) أ.هـ، ثم قال ما نصه^(٣): (وأصل هذا أن قربه سبحانه ودنوه من بعض مخلوقاته لا يستلزم أن تخلو ذاته من فوق العرش بل هو

(١) شرح حديث النزول (ص/٦٦)، مجموع فتاوى (١٣١/٥ و٤١٥).

(٢) انظر الكتاب (ص/٩٩)

(٣) انظر الكتاب (ص/٩٩).

فوق العرش ويقرب من خلقه كيف شاء، كما قال ذلك من قاله من السلف) أ.هـ.

الرد على ابن تيمية :

فلينظر إلى هذه الأقوال من ابن تيمية وما ذلك منه إلا تمويه، فهو ينسب الرأي الذي يعجبه إلى أئمة أهل الحديث أو السلف وهم بريئون من ذلك، ولن يستطيع أن يثبت ذلك عن أحد من أئمة الحديث إلا أن يكون من المجسمة المنتسبة إلى الحديث كأمثال الذي قال: ألزمنى ما شئتم غير اللحية والعورة.

وليعلم أن نفى الحركة والسكون عن الله هو ما أطبق عليه علماء أهل السنة من الأشاعرة والماتريدية لا يعلم في ذلك خلاف بل هو معنى قول الإمام الحافظ السلفي أبي جعفر الطحاوي في عقيدته: (ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر) أليس من معاني البشر الحركة والسكون والجلوس؟ أليس تضمن تأويل الإمام أحمد بن حنبل قوله تعالى: ﴿وجاء ربك﴾ (الفجر: ٢٢)، (جاءت قدرته) نفى الحركة والسكون عن الله والتحيز في العرش،

ما نصه^(١): (وقد زل بعض شيوخ أهل الحديث ممن يرجع إلى معرفته بالحديث والرجال، فحاد عن هذه الطريقة حين روى حديث النزول، ثم أقبل على نفسه فقال: إن قال قائل كيف ينزل ربنا إلى السماء؟ قيل له: ينزل كيف يشاء، فإن قال: هل يتحرك إذا نزل؟ فقال: إن شاء يتحرك وإن شاء لم يتحرك، وهذا خطأ فاحش عظيم، والله تعالى لا يوصف بالحركة، لأن الحركة والسكون يتعاقبان في محل واحد، وإنما يجوز أن يوصف بالحركة من يجوز أن يوصف بالسكون، وكلاهما من أعراض الحدث وأوصاف المخلوقين، والله تبارك وتعالى متعال عنهما ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، فلو جرى هذا الشيخ على طريقة السلف الصالح ولم يدخل نفسه فيما لا يعنيه لم يكن يخرج به القول إلى مثل هذا الخطأ الفاحش) أ.هـ.

وقال^(٢) في قوله تعالى: ﴿فَأَتَى اللَّهُ بَنِيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ﴾ (النحل: ٢٦). ما نصه: (لم يرد به إتياننا من حيث النقلة)

(١) الأسماء والصفات (ص ٤٥٤/٤٥٥).

(٢) الأسماء والصفات (ص ٤٤٩).

فلو كان يعتقد المجيء على ظاهره لما أوّل بل ترك اللفظ على ما هو عليه كما هو معتقد المشبهة، فإن لم تكن الحركة والسكون من معاني البشر فما هي معاني البشر، فإن الله جعل بعض العالم ساكناً كالسموات السبع والعرش، وجعل بعض العالم متحركاً دائماً وهي النجوم، وجعل بعض العالم متحركاً تارة وساكناً تارة كالملائكة والإنس والجن والدواب، فكيف يصح أن يوصف الخالق بأحدهما، فلو كان متصفاً بأحدهما لكان له أمثال كثير وذلك يناقض قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (الشورى: ١١). فلو فهمت قول السلف في أحاديث الصفات: (أمروها كما جاءت بلا كيف)، فما معنى الكيف إلا نفى صفات الخلق عن الله ومنها الحركة والسكون.

وليس معنى قول السلف: (بلا كيف) إثبات الحركة والسكون والتنقل لله تعالى على ما توهمه بعض ظواهر الآيات والأحاديث.

ويكفي في الرد عليه ما ذكره الحافظ البيهقي في الأسماء والصفات نقلاً عن الحافظ أبي سليمان الخطابي

أ.هـ، وقال^(١) فى حديث النزول ما نصه: (إنه ليس حركة ولا نقلة، تعالى الله عن صفات المخلوقين) أ.هـ.
وقال الحافظ البيهقى فى قوله تعالى: ﴿وجاء ربك والملك صفا صفا﴾ (الفجر: ٢٢). ما نصه^(٢): (والمجئ والنزول صفتان منفيتان عن الله تعالى من طريق الحركة والانتقال من حال إلى حال، بل وهما صفتان من صفات الله تعالى بلا تشبيه، جل الله تعالى عما يقول المعطلة لصفاته والمشبهة بها علوا كبيرا) أ.هـ.

قال القرطبى فى تفسير آل عمران عند قوله تعالى: ﴿والمستغفرين بالأسحار﴾ بعد ذكره حديث النزول وما قيل فيه ما نصه^(٣): (وأولى ما قيل فيه ما جاء فى كتاب النسائى مفسرا عن أبى هريرة وأبى سعيد رضى الله عنهما قالوا: قال رسول الله ﷺ: (إن الله عز وجل يمهل حتى شطر الليل الأول ثم يأمر مناديا فيقول: هل من داع

(١) الأسماء والصفات (ص/ ٤٤٩).

(٢) الأسماء والصفات (ص/ ٤٥٦).

(٣) تفسير القرطبى (٤/ ٣٩).

يستجاب له؟، هل من مستغفر يغفر له؟، هل من سائل يعطى؟)، صححه أبو محمد عبد الحق، وهو يرفع الإشكال ويوضح كل احتمال، وإن الأول من باب حذف المضاف، أى: ينزل ملك ربنا فيقول، وقد روى (ينزل) بضم الياء وهو يبين ما ذكرنا) أ.هـ.

وقال الحافظ ابن حجر فى شرح البخارى ما نصه^(١): (استدل به من أثبت الجهة وقال: هى جهة العلو، وأنكر ذلك الجمهور لأن القول بذلك يفضى إلى التحيز، تعالى الله عن ذلك، وقد اختلف فى معنى النزول على أقوال) أ.هـ، وأفاض فى ذكرهما، ثم قال: (وقد حكى أبو بكر بن فورك أن بعض المشايخ ضبطه بضم أوله على حذف المفعول، أى: ينزل ملكا، ويقويه ما رواه النسائى من طريق الأغر عن أبى هريرة وأبى سعيد رضى الله عنهما بلفظ: (إن الله يمهل حتى يمضى شطر الليل ثم يأمر مناديا يقول: هل من داع فيستجاب له) الحديث. وفى حديث عثمان بن أبى العاص: (ينادى مناد هل من داع

(١) فتح البارى (٣/ ٣٠).

يستجاب له) الحديث، قال القرطبي: وبهذا يرتفع الإشكال أ.هـ.

قلت: وحديث عثمان بن أبي العاص أخرجه أحمد^(١) في مسنده بلفظ: (ينادى مناد كل ليلة: هل من داع فيستجاب له، هل من سائل فيعطى، هل من مستغفر فيغفر له، حتى ينفجر الفجر)، وأخرجه الطبراني^(٢) عنه بلفظ: (تفتح أبواب السماء نصف الليل فينادى مناد: هل من داع فيستجاب له، هل من سائل فيعطى، هل من مكروب فيفرج عنه)، الحديث، قال الحافظ الهيثمي^(٣) عقبه: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

ونقل الحافظ ابن حجر في فتح الباري قول البيضاوي ونصه^(٤): (وقال البيضاوي: ولما ثبت بالقواطع أنه سبحانه منزه عن الجسمية والتحيز امتنع عليه النزول

(١) مسند أحمد (٤/٢٢).

(٢) المعجم الكبير: (٥١/٩).

(٣) مجمع الزوائد (١٠/١٥٣).

(٤) فتح الباري (٣/٣١).

على معنى الانتقال إلى موضع أخفض منه) أ.هـ.

وقال البيهقي في مناقب أحمد^(١): (أنبأنا الحاكم قال حدثنا أبو عمرو بن السماك قال: حدثنا حنبل بن إسحاق قال: سمعت عمي أبا عبد الله يعني أحمد يقول: احتجوا على يومئذ - يعني يوم نوظر في دار أمير المؤمنين - فقالوا: تجئ سورة البقرة يوم القيامة، وتجي سورة تبارك فقالت لهم: إنما هو الثواب، قال الله تعالى: ﴿وجاء ربك﴾ إنما يأتي قدرته، وإنما القرآن أمثال ومواظ.

قال البيهقي: وفيه دليل على أنه كان لا يعتقد في المجيء الذي ورد به الكتاب، والنزول الذي وردت به السنة، انتقالا من مكان إلى مكان كمجيء ذوات الأجسام ونزولها، وإنما هو عبارة عن ظهور آيات قدرته فإنهم لما زعموا أن القرآن لو كان كلام الله وصفة من صفات ذاته لم يجز عليه المجيء والإتيان، فأجابهم أبو عبد الله بأنه إنما يجيء ثواب قراءته التي يريد إظهارها يومئذ فعبر عن إظهاره إياها بمجيئه) أ.هـ.

(١) نقله عنه ابن كثير في تاريخه (١٠/٣٢٧).

ونقل الحافظ ابن الجوزى الحنبلى فى تفسيره زاد المسير^(١) عن الإمام أحمد أنه فسر قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ﴾ (النحل: ٣٣). بمجىء أمره والقرآن يفسر بعضه بعضا.

وقوله تعالى: ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكَمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (الأعراف: ٢٢). فيه دليل على صحة رواية النسائى^(٢): (إن الله عز وجل يمهل حتى يمضى شطر الليل الأول ثم يأمر منادياً..). فكما أن الله تعالى نسب نداء الملك لآدم وحواء إلى نفسه لكونه بأمره، فكذلك صح إسناد نزول الملك إلى السماء الدنيا ليبلغ عن الله: (هل من داع فيستجيب الله له، وهل من سائل فيعطى، وهل من مستغفر فيغفر له) إلى الله، وفى الآية أيضا دليل على أن نداء الملك لبعض خلق الله بأمر الله يسند إلى الله من غير

(١) زاد المسير (١/٢٢٥).

(٢) أخرجه النسائى فى السنن الكبرى: عمل اليوم والليلة: باب الوقت الذى يستحب فيه الاستغفار.

أن يكون هناك صوت يخرج من الله، فمن هنا يؤخذ رد اعتراض بعض المجسمة رواية النسائى لحديث النزول، حيث إنه قال: إن هذه الرواية تستلزم حصول قول من الملك: هل من مستغفر فأغفر له، وهل من داع فأستجيب له. فنقول كما أن الله جعل نداء الملك لآدم وحواء بأن الله يقول لكما: ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكَمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (الأعراف: ٢٢). كذلك يحمل حديث النزول على الرواية المشهورة على أن الله يأمر الملك بالنزول إلى السماء الدنيا ويبلغ عن الله بأن يقول: إن الله يقول لعباده الداعين والسائلين: من يدعونى فأستجيب له، ومن يسألنى فأعطيه إلى آخر ما ورد فيه، وليس المعنى أن الملك يقول عن نفسه من يستغفرنى فأغفر له، ومن يدعونى فأستجيب له، ومن يسألنى فأعطيه، ونظير هذا ما جاء فى القرآن من قوله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ (القيامة: ١٦-١٨). فقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ﴾ معناه فإذا قرأه جبريل عليك بأمرنا، ومعلوم أنه ليس المعنى أن الله يقرأ القرآن على

رسول الله المعلم على التلميذ، فهذا ينحل الإشكال الذى يخطر لبعض الناس.

ويلزم من التمسك بظاهر رواية البخارى ومالك وغيرهما^(١) لحديث النزول المشهور أن يكون الله فيما بين النصف الثانى من الليل والفجر مستمرا فى النزول والصعود إن حملوا النزول بالنسبة لكل أرض، وذلك أن الليل يختلف باختلاف البلاد فنصف الليل فى بلد هو أول النهار فى بلد آخر، وقد يكون فى أرض أول الليل أو أقل أو أكثر، وإن حملوا النزول على أرض واحدة فيما بين انتصاف ليلها وفجرها، فبأى حجة خصصوا النزول بأرض واحدة، والحديث ليس فيه بأرض كذا.

قال بدر الدين بن جماعة فى كتابه إيضاح الدليل فى

(١) أخرجه مالك فى الموطأ؛ كتاب القرآن: باب ما جاء فى الدعاء، والبخارى فى صحيحه: كتاب التهجد: باب الدعاء والصلاة من آخر الليل، ومسلم فى صحيحه: كتاب صلاة المسافرين وقصرها: باب الترغيب فى الدعاء والذكر فى آخر الليل والإجابة فيه.

قطع حجج أهل التعطيل ما نصه^(١): (اعلم أن النزول الذى هو الانتقال من علو إلى سفلى لا يجوز حمل الحديث عليه لوجه:

الأول: النزول من صفات الأجسام والمحدثات ويحتاج إلى ثلاثة: منتقل، ومنتقل عنه، ومنتقل إليه، وذلك على الله تعالى محال.

الثانى: لو كان النزول لذاته حقيقة لتجددت فى كل يوم وليلة حركات عديدة تستوعب الليل كله، وتقلبات كثيرة، لأن ثلث الليل يتجدد على أهل الأرض مع اللحظات شيئاً فشيئاً، فيلزم انتقاله فى السماء الدنيا ليلاً ونهاراً من قوم إلى قوم، وعوده إلى العرش فى كل لحظة على قولهم، ونزوله فيها إلى سماء الدنيا، ولا يقول ذلك ذو لب وتحصيل.

الثالث: أن القائل بأنه فوق العرش، وأنه ملأه كيف تسعه سماء الدنيا، وهى بالنسبة إلى العرش كحلقه فى فلاة، فيلزم عليه أحد أمرين، اتساع سماء الدنيا كل ساعة

(١) انظر الكتاب (ص ١٦٤).

حتى تسعه، أو تضاؤل الذات المقدس عن ذلك حتى تسعه، ونحن نقطع لانتقاء الأمرين) أ.هـ.

وقال الحافظ البيهقي في السنن الكبرى^(١) ما نصه: (أخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال: سمعت أبا محمد أحمد بن عبد الله المزني يقول: حديث النزول قد ثبت عن رسول الله ﷺ من وجوه صحيحة في التنزيل ما يصدقه وهو قوله تعالى: ﴿وجاء ربك والملك صفا صفا﴾ (الفجر: ٢٢). والنزول والمجيء صفتان منتقيتان عن الله تعالى من طريق الحركة والانتقال من حال إلى حال، بل هما صفتان من صفات الله تعالى بلا تشبيه جل الله تعالى عما تقول المعطلة لصفاته والمشبهة بها علوا كبيرا. قلت: وكان أبو سليمان الخطابي رحمه الله يقول: إنما ينكر هذا وما أشبهه من الحديث من يقيس الأمور في ذلك بما يشاهده من النزول الذي هو تدل من أعلى إلى أسفل، وانتقال من فوق إلى تحت وهذه صفة الأجسام والأشباح، فأما نزول من لا تستولى عليه صفات الأجسام فإن هذه

(١) أنظر السنن الكبرى (٣/٣).

المعاني غير متوهمة فيه وإنما هو خبر عن قدرته ورأفته وعطفه عليهم، واستجابته دعاءهم ومغفرته لهم يفعل ما يشاء لا يتوجه على صفاته كيفية ولا على أفعاله كمية، سبحانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) أ.هـ.

فليعلم الجاهل الذي لا تمييز له أنه حاد عن الحق الذي اتفق عليه السلف والخلف، فإن من أول من السلف والخلف تأويلا إجماليا قال في حديث النزول وحديث الجارية وشبههما، وفي آية الاستواء على العرش والمجيء المذكور في قوله الله تعالى: ﴿وجاء ربك﴾ (الفجر: ٢٢). وشبههما من الآيات: (بلا كيف) ومرادهم أن ذلك على غير صفة من صفات الخلق، أي: ليس النزول كالنزول الحسي ولا الاستواء بمعنى الجلوس والاستقرار، ولا المجيء بالانتقال والحركة وما هو من صفات المخلوق، فمعنى قولهم بلا كيف أن لهذه النصوص معان ليس فيها تشبيه لصفات الله بصفات الخلق.

وأما الذين أولوا التأويل التفصيلي كالذين أولوا
المجىء بمجىء القدرة، أى: آثار قدرة الله، والنزول
بنزول الملك أو نزول الرحمة وما أشبه ذلك، كتأويل
الإمام سفيان الثوري والإمام البخاري وجه الله المذكور
في قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ (القصص:
٨٨). بما أريد به وجه الله وبملك الله، فلم يصفوا الله
تعالى بصفات المخلوقين، فكلا الفريقين لم يتمسك بظواهر
تلك الآيات وتلك الأحاديث، فكل متفقون على تنزيه الله
عن صفات المخلوقين، وعلى أن تلك الآيات والأحاديث
ليس معانيها المعانى المعهودة من الخلق، فلا أحد من
الفريقين يعتقد في حديث النزول أن الله تعالى ينزل نزولا
حسبياً كنزول الملائكة والبشر، ولا أحد منهم يعتقد أن
معنى الاستواء الجلوس والاستقرار على العرش أو الكون
في جهة العلو من غير مماسة، وذلك تمسك منهم بمعنى
قوله تعالى: ﴿فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ
أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ
شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى: ١١). الذى هو
تنزيه كلى، فتزد تلك الآيات والأحاديث إلى هذه الآية

لأنها محكمة. فنفاة التأويل الإجمالى والتفصيلي لا مهرب
من الوقوع فى المحال فيصيرون ضحكة عند أهل التمييز
والفهم الذين يوفقون بين النقل والعقل.

قال تقى الدين الحصنى ما نصه^(١): (وفى مواضع
أغراضهم - أى ابن تيمية وأتباعه - الفاسدة يجرون
الأحاديث على مقتضى العرف والحس، ويقولون: ينزل
بذاته وينتقل ويتحرك ويجلس على العرش بذاته، ثم
يقولون: لا كما يعقل، يغالطون بذلك من يسمع من عامي
وسىء الفهم، وذلك عين التناقض ومكابرة للحس والعقل،
لأنه كلام منتهافت يدفع آخره أوله، وأوله آخره)أ.هـ.

(١) دفع شبهة من شبهة وتمرد (ص/٧-٨).

رابعاً: قوله بنسبة الحد لذات الله تعالى

وأما إثبات ابن تيمية الحد لله الذى نفاه الطحاوى فى كتابه الذى سماه (ذكر بيان عقيدة أهل السنة والجماعة على مذهب فقهاء الملة أبى حنيفة النعمان بن ثابت الكوفى، وأبى يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصارى، وأبى عبد الله محمد ابن الحسن الشيبانى) صاحبيه، أى: وغيرهم عن الله تعالى بقوله: (تعالى عن الحدود والغايات) فهو ما نقله ابن تيمية فى كتابه الموافقة^(١) عن أبى سعيد الدارمى المجسم موافقا له فقال ما نصه: (وقد اتفقت الكلمة من المسلمين والكافرين أن الله فى السماء وحثوه بذلك إلا المريسي الضال وأصحابه، حتى الصبيان الذين لم يبلغوا الحنث قد عرفوا ذلك إذا أحزن الصبى شئ يرفع يده إلى ربه ويدعوه فى السماء دون ما سواها، وكل أحد بالله وبمكانه أعلم من الجهمية) أ.هـ.

وقال فى الموافقة عن أبى سعيد الدارمى المجسم ما

(١) أنظر الكتاب (٢٩/٢-٣٠).

نصه^(١): (والله تعالى له حد لا يعلمه أحد غيره، ولا يجوز لأحد أن يتوهم لحدّه غاية فى نفسه، ولكن يؤخذ بالحد ويكل علم ذلك إلى الله، ولمكانه أيضا حد وهو على عرشه فوق سماواته، فهذان حدّان اثنتان). أ.هـ، ثم قال^(٢): (فهذا كله وما أشبهه شواهد ودلائل على الحد، ومن لم يعترف به فقد كفر بتنزيل الله وجدد آيات الله) أ.هـ، ووافق على ذلك.

وقال فى كتابه بيان تلبيس الجهمية ما نصه^(٣): (قد دل الكتاب والسنة على معنى ذلك كما تقدم احتجاج الإمام أحمد لذلك بما فى القرآن مما يدل على أن الله تعالى له حد يتميز به عن المخلوقات) أ.هـ.

وقال فيه أيضا ما نصه^(٤): (وذلك لا ينافى ما تقدم من إثبات أنه فى نفسه له حد يعلمه هو لا يعلمه غيره) أ.هـ.

(١) انظر الكتاب (٢٩/٢).

(٢) انظر الكتاب (٢٩/٢)، بيان تلبيس الجهمية (٤٢٧/١).

(٣) بيان تلبيس الجهمية (٤٤٥/١).

(٤) بيان تلبيس الجهمية (٤٣٣/١).

فهو يعتقد أن الله متحيز في جهة فوق العالم، تعالى الله عن ذلك، يقول ابن تيمية في كتاب (بيان تلبيس الجهمية) ما نصه^(١): (والبارىء سبحانه وتعالى فوق العالم فوقية حقيقية ليست فوقية الرتبة) أ.هـ.

والعجب من ابن تيمية في قوله المذكور الموهوم أن المسلمين والكافرين اتفقوا وأجمعوا على أن الله له حد، وقد نقل أبو الفضل التميمي رئيس الحنابلة عن الإمام أحمد أنه قال^(٢): (والله تعالى لا يلحقه تغير ولا تبدل ولا تلحقه الحدود قبل (خلق) العرش ولا بعد خلق العرش، وكان ينكر - أي الإمام أحمد - على من يقول: إن الله في كل مكان بذاته، لأن الأمكنة كلها محدودة) أ.هـ.

فإنه سبحانه وتعالى منزه عن أن يكون ذا حد ونهاية كسائر الأجسام لأنها محدودة، فالعرش الذي هو أكبر الأجرام محدود، وكذا الذرة محدودة، لأن الفرق بينهما من حيث كثرة الأجزاء وقلتها، والذرة عند أهل اللغة

(١) بيان تلبيس الجهمية (١/١١١).

(٢) اعتقاد الإمام أحمد (ص/٦)، مخطوط.

والمتكلمين تطلق على النملة الصغيرة الحمراء، قال الحافظ اللغوي مرتضى الزبيدي^(١) ما نصه: (الذر صغار النمل مائة منها زنة حبة شعير، وقيل: الذرة ما ليس لها وزن، ويراد بها في شعاع الشمس الداخل في النافذة، قالوا: الذر النمل الأحمر الصغير الواحدة ذرة) أ.هـ.

فالعرش أجزاءه كثيرة، والذرة أجزاءها قليلة، فلا يتوهم متوهم غافل عن تنزيه الله تعالى أن مرادهم بنفى المحدودية عن الله أنه شيء لا تحصى أجزاءه كالعرش، وأنه ليس صغيرا قليل الأجزاء بحيث يدخل تحت الحصر، فينبغي الاهتمام ببيان هذه العبارة لطلاب العلم على الوجه الذي ينفي عنهم توهم المعنى الفاسد المذكور، لأنه قد يتوهم بعض الجهال إذا قيل الله ليس له حد أو ليس بمحدود أن معناه جرم كبير، واعتقاد الجرم في الله كفر، فمن اعتقده جرما صغيرا أو اعتقده جرما كبيرا كالعرش أو أوسع منه فهو غير عارف بربه.

فإنه تعالى منزه عن الحدود، أي: لا يجوز عليه عقلا

(١) تاج العروس (٣/٢٢٣).

ولا شرعا أن يكون له حد، ولا يجوز أن يقال إن له حدا لا نعلمه بل هو يعلمه كما قال بعض المجسمة من الحنابلة من أسلاف ابن تيمية، وذلك لأن المحدود يحتاج إلى من حده، والمحتاج إلى غيره فهو محدث، والمحدث لا يكون إليها لأن الإله من شرطه الأزلية والقدم.

ويكفي لنفي الحد والحجم عن الله تعالى من حيث النص الشرعي قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ لأنه لو كان حجما لكان له أمثال لا تحصى وهذا من الأوليات في مفهوم هذه الآية، لأن الشيء ذكر في الآية في معرض النفي فيشمل كل ما سواه من حجم كثيف وحجم لطيف، فقول مشبهة العصر (الوهابية): إن معنى الآية ليس له مثل فيما نعرفه، زبغ من القول لا يلتفت إليه.

قال الإمام أبو القاسم الأنصاري النيسابوري شارح كتاب الإرشاد لإمام الحرمين ما نصه^(١): (فصل في نفي الحد والنهاية).

اعلم أن القديم سبحانه لا يتناهى في ذلك على معنى

(١) شرح الإرشاد (ق/ ٥٩)، مخطوط.

نفي الجهة والحد عنه، ولا يتناهى في وجوده على معنى نفي الأولية عنه فإنه أزلي أبدى صمدى، وكذلك صفات ذاته لا تتناهى في ذاتها ووجودها ومتعلقاتها إن كان لها تعلق، ومعنى قولنا: لا تتناهى في الذات قيامها بذات لا نهاية له ولا حد ولا منقطع ولا حيث، وقولنا لا تتناهى في الوجود إشارة إلى أزليتها ووجوب بقائها وأنها متعلقة بما لا يتناهى كالمعلومات والمقدورات والمخبرات). ثم قال: (وأما الجوهر فهو متناه في الوجود والذات لأنه لا يشغل إلا حيزا له حكم النهاية وهو حادث له مفتتح ويجوز عدمه.

والعرض متناه في الذات من حيث الحكم على معنى أنه لا ينبسط على محلين، ومتناه في الوجود على معنى أنه لا يبقى زمانين، ويتناهى في تعلقه فإنه لا يتعلق بأكثر من واحد.

أما المجسمة فإنهم أثبتوا للقديم سبحانه الحد والنهاية، فمنهم من أثبت له النهايات من ست جهات، ومنهم من أثبتها من جهة واحدة وهي جهة تحت، ومنهم من لا يطلق

عليه النهاية، واختلفوا في لفظ المحدود فمنهم من أثبتته ومنهم من منعه وأثبت الحد، وقد بينا أن إثبات النهاية من جهة واحدة توجب إثباتها من جميع الجهات، ولأن النهاية والانقطاع من الجهة الواحدة تقدر في العظمة، بدليل أنه لو لم ينته لكان أعظم مما كان، فلما تنهى فقد صغر، ويجب نفي الصغر عنه كما وجب إثبات العظمة له، يوضح ما قلناه أنهم قالوا إنما منعنا كونه وسط العالم لأنه يوجب انصافه بالصغر، فإثبات النهاية من جانب يفرض إلى النهاية من جميع الجوانب، فقد تحقق إذا بنفى النهاية والحد عنه استحالة الاتصال والانفصال والمحاذة عليه لاستحالة الحجمية والجنثية عليه، بل هو عظيم الذات لانتفاء النهايات والصغر عنه لا لجسامة ولا لصورة وشبح) أ.هـ.

ثم قال^(١): (فصل في معنى العظمة والعلو والكبرياء والفرقية: أجمع المسلمون على أن الله تعالى عظيم وأعظم من كل عظيم، ومعنى العظمة والعلو والعزة والرفعة،

(١) شرح الإرشاد (ق/ ٥٩)، مخطوط.

والفرقية واحد وهو استحقاق نعوت الجلال وصفات تعالى على وصف الكمال وذلك تقدسه عن مشابهة المخلوقين، وتنزهه عن سمات المحدثين وعن الحاجة والنقص، واتصافه بصفات الإلهية كالقدرة الشاملة للمقدورات، والإرادة النافذة في المرادات، والعلم المحيط بجميع المعلومات، والجود البسيط، والرحمة الواسعة، والنعمة السابغة، والسمع والبصر والقول القديم، والطول العميم والوجه واليد والبقاء والمجد) أ.هـ.

وأما ما نقله ابن تيمية عن بعض السلف أنه قال بالحد لله فهو لم يثبت إسناداً، ولو صح فهو نقل عن فرد من أتباع التابعين فليس فيه حجة وإنما الحجة بكلام الله وكلام الرسول الثابت الصحيح عنه ﷺ بإسناد خال عن مختلف فيه، كما شرط ذلك الحافظ ابن حجر وغيره لأحاديث الصفات. ومن أعجب العجائب قوله: إن من نفى الحد عن الله من الأئمة يعنى الحد المعلوم لنا، ومن أثبتته يحمل كلامه على أنه أراد حدا يعلمه الله لا يعلمه غيره.

وأما استدلاله بما ورد أن رسول الله ﷺ قال لو ولد

عمران بن حصين: (يا حصين كم تعبد اليوم إلهاً؟) قال: سبعة، ستة في الأرض وواحد في السماء، قال: (فأيهم تعد لرغبتك ورهبتك)، قال: (الذي في السماء)، فهو لم يرد بإسناد يثبت به الحديث في الصفات فلا حجة في ذلك.

وكذلك استدلاله لإثبات الحد لله في السماء برفع الأيدي إليها للدعاء، فإنه لا يدل على أن الله متحيز في جهة فوق، كما أن حديث مسلم أنه ﷺ لما استسقى وجهه يديه إلى أسفل، لا يدل على أن الله في جهة تحت، فلا حجة في هذا ولا في هذا لإثبات جهة فوق ولا جهة تحت لله تعالى.

ولفظ الحديث في صحيح مسلم^(١) عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ استسقى فأشار بظهر كفيه إلى السماء. وروى

أبو داود وابن حبان^(١) في صحيحه أن رسول الله ﷺ استسقى عند أحجار الزيت قريبا من الزوراء قائما يدعو يستسقى رافعا كفيه قبل وجهه لا يجاوز بهما رأسه.

قال الكوثري في تعليقه على السيف الصقيل^(٢) ما نصه: (قال ابن تيمية في التأسيس في رد أساس التقديس المحفوظ في ظاهرة دمشق في ضمن المجلد رقم ٢٥ من الكواكب الدراري- وهذا الكتاب مخابأة ووكر لكتبهم في التجسيم وقد بينت ذلك فيما علقته على المصعد الأحمد (ص ٣١): (فمن المعلوم أن الكتاب والسنة والإجماع لن ينطق بأن الأجسام كلها محدثة وأن الله ليس بجسم، ولا قال ذلك إمام من أئمة المسلمين، فليس في تركي لهذا القول خروج عن الفطرة ولا عن الشريعة).

وقال في موضع آخر منه: (قلتم ليس هو بجسم، ولا

(١) أخرجه أبو داود في سننه: كتاب الصلاة: باب رفع اليدين في

الاستسقاء، وانظر الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان

(٢/١٢٠).

(٢) أنظر السيف الصقيل (ص/٤٠).

(١) صحيح مسلم: كتاب صلاة الاستسقاء: باب رفع اليدين بالدعاء

في الاستسقاء.

جوهر ولا متحيز ولا فى جهة ولا يشار إليه بحس ولا يتميز منه شئ من شئ، وعبرتم عن ذلك بأنه تعالى ليس بمنقسم ولا مركب وأنه لا حد له ولا غاية، تريدون بذلك أنه يمتنع عليه أن يكون له حد وقدّر أو يكون له قدر لا يتناهى.. فكيف ساغ لكم هذا النفى بلا كتاب ولا سنة) أ.هـ.

وفى ذلك عبر للمعتبر، وهل يتصور لمارق أن يكون أصرح من هذا بين قوم مسلمين؟). انتهى كلام الكوثرى.

هذا وقد ثبت فى النقل عن أبى حنيفة وغيره عن قبله وهو الإمام زين العابدين على بن الحسين رضى الله عنهما فى رسالته المشهورة بالصحيفة السجادية نفى الحد عن الله، فقد ذكر المحدث الحافظ محمد مرتضى الزبيدى شارح القاموس فى شرح إحياء علوم الدين هذه الصحيفة بإسناد متصل منه إلى زين العابدين قوله: (أنت الله الذى لا تحد فتكون محدودا). أى: فكيف تكون محدودا، وقوله: (لا يحيط به مكان). فقوله فتكون بالنصب مرتبط بالنفى السابق، ولا يجوز أن يقرأ برفع النون لأنه يلزم منه

تتناقض، وهذا كقوله تعالى: ﴿لا يقضى عليهم فيموتوا﴾ (فاطر: ٣٦). فيموتوا منصوب بأن مضمرة.

وقول الإمام علىّ زين العابدين عليه السلام: (أنت الله الذى لا تحد) صريح فى أن الله تعالى لا يجوز عليه أن يكون محدودا، ليس له حد فى علمه ولا فى علم الخلق.

فأين ما ادعاه من اتفاق كلمة المسلمين على إثبات الحد لله، وبقية أئمة السلف على ما كانوا عليه من نفى الحد عن الله، بدليل قول الطحاوى السابق، فإنه أورد ذلك على أنه مذهب السلف، وهؤلاء الأربعة من أئمة السلف المشاهير، وإنما خص أبى حنيفة وصاحبيه بالذكر لشهرتهم، ولأنه سبك عبارة العقيدة على حسب أسلوبهم، وهو مذهب كل السلف كما أشعر بذلك قول الطحاوى: (ذكر بيان عقيدة أهل السنة والجماعة).

فقد بان تمويه ابن تيمية وانكشف وهذا دأبه، الرأى الذى يعجبه فى الاعتقاد ينسبه إلى السلف ليوهم بذلك ضعفاء العقول والأفهام أن مذهبه مذهب السلف، وهيهات هيهات.

نصه^(١): [ومن ذلك قول بعض المجسمة فى أبى حاتم بن حبان: (لم يكن له كبير دين، نحن أخرجناه من سجستان لأنه أنكر الحد لله)، فىا لبت شعرى من أحق بالإخراج؟ من يجعل ربه محدودا أو من ينزهه عن الجسمية؟] أ.هـ.

وقد نقل الإجماع على نفى الحد الإمام أبو منصور البغدادى فى الفرق بين الفرق ونصه^(١): (وقالوا- أى أهل السنة والجماعة- بنفى النهاية والحد عن صانع العالم) أ.هـ.

وقال الإمام أبو حنيفة رحمته الله فى الفقه الأكبر ما نصه: (ولا حدَّ له ولا ضدَّ له) أ.هـ.

وقال الحافظ البيهقى فى كتابه الأسماء والصفات ما نصه^(٢): (وما تقرد به الكلبى وأمثاله يوجب الحد، والحد يوجب الحدث لحاجة الحد إلى حاد خصه به، والبارئ قديم لم يزل) أ.هـ.

وقد كان ينفى الحد عن الله سبحانه وتعالى الإمام الحافظ محمد بن حبان أبو حاتم البستى، كما نقل ذلك عنه الحافظ ابن حجر العسقلانى^(٣)، وقال التاج السبكى ما

(١) الفرق بين الفرق (ص/ ٣٣٢).

(٢) الأسماء والصفات (ص/ ٤١٥).

(٣) لسان الميزان (١١٤/٥).

(١) قاعدة فى الجرح والتعديل (ص ٣٠-٣٢).

خامسا: قوله بنسبة الجهة والمكان لله تعالى

أما قول ابن تيمية بنسبة الجهة والمكان لله فقد ذكره في كتابه منهاج السنة النبوية^(١) فقال ما نصه رادا بزعمه على القول: (لأنه- أى الله- ليس فى جهة): (وإن أريد بالجهة أمر عدمى وهو ما فوق العالم فليس هناك إلا الله وحده، فإذا قيل إنه فى جهة كان معنى الكلام إنه هناك فوق العالم حيث انتهت المخلوقات فهو فوق الجميع عال عليه) أ.هـ.

وقال فى موضع آخر منه ما نصه^(٢): (وإذا كان الخالق بئنا عن المخلوق امتنع أن يكون الخالق فى المخلوق وامتنع أن يكون متحيزا بهذا الاعتبار، وإن أراد بالحيز أمرا عدميا فالأمر العدمى لا شئ وهو سبحانه بئنا عن خلقه، فإذا سُمى العدم الذى فوق العالم حيزا وقال: يمتنع أن يكون فوق العالم لئلا يكون متحيزا فهذا

(١) انظر المنهاج (١/٢١٧).

(٢) انظر المنهاج (١/٢٤٩).

معنى باطل لأنه ليس هناك موجود غيره حتى يكون فيه، وقد علم بالعقل والشرع أنه بئنا عن خلقه كما قد بسط فى غير هذا الموضوع) أ.هـ.

وقال راداً بزعمه على من يقول: (لو كان الله فوق العرش لكان جسما) ونص كلامه^(١): (فقال لهم أهل الإثبات: معلوم بضرورة العقل أن إثبات موجود فوق العالم ليس بجسم أقرب إلى العقل من إثبات موجود قائم بنفسه ليس بمباين للعالم ولا مداخل له، فإن جاز إثبات الثانى فإثبات الأول أولى) أ.هـ، ثم قال بعد ذلك: (وكذلك الكلام فى لفظ الجهة فإن مسمى لفظ الجهة يراد به أمر وجودى كالفلك الأعلى، ويراد به أمر عدمى كما وراء العالم، فإذا أريد الثانى أن يقال كل جسم فى جهة، وإذا أريد الأول امتنع أن يكون كل جسم فى جسم آخر، فمن قال: البارئ فى جهة وأراد بالجهة أمرا موجودا فكل ما سواه مخلوق له فى جهة بهذا التفسير فهو مخطئ، وإن أراد بالجهة أمرا عدميا وهو ما فوق العالم وقال: إن الله

(١) انظر المنهاج (١/٢٥٠).

فوق العالم موجود غيره فلا يكون سبحانه فى شئ من الموجودات) أ.هـ.

وقال فى موضع آخر من الكتاب^(١) ما نصه: (وجمهور الخلف على أن الله فوق العالم، وإن كان أحدهم لا يلفظ بلفظ الجهة فهم يعتقدون بقلوبهم ويقولون بألسنتهم ربهم فوق) أ.هـ.

وقال أيضا فيه ما نصه^(٢): (وكذلك قوله: كل ما هو فى جهة فهو محدث، لم يذكر عليه دليلا، وغايته ما تقدم من أنه لو كان فى جهة لكان جسما وكل جسم محدث لأن الجسم لا يخلو من الحوادث فهو حادث، وكل هذه المقدمات فيها نزاع، فمن الناس من يقول: قد يكون فى الجهة ما ليس بجسم، فإذا قيل له: هذا خلاف المعقول، قال: هذا أقرب إلى العقل من قول من يقول إنه لا داخل العالم ولا خارجه، فإذا قيل العقل ذاك قبل هذا بطريق الأولى، وإن رد هذا رد ذاك بطريق الأولى، وإذا رد ذاك

(١) أنظر المنهاج (١/٢٦٢).

(٢) أنظر المنهاج (١/٢٦٤).

تعين أن يكون فى الجهة، فثبت أنه فى الجهة على التقديرين) أ.هـ.

ويقول فى الرسالة التدمرية ما نصه^(١): (فيقال لمن نفى الجهة: أتريد بالجهة أنه شئ موجود مخلوق؟ فالله ليس داخلا فى المخلوقات، أم تريد بالجهة ما وراء العالم؟ فلا ريب أن الله فوق العالم مباين للمخلوقات) أ.هـ.

وقال فى كتابه بيان تلبيس الجهمية (١/٥٢٦) ما نصه: (والله تعالى قد أخبر عن فرعون أنه طلب أن يصعد ليطلع إلى إله موسى، فلو لم يكن موسى أخبره أن الله فوق لم يقصد ذلك، فإنه لو لم يكن مقراً به فإذا لم يخبره موسى به لم يكن إثبات العلو لا منه ولا من موسى عليه الصلاة والسلام) أ.هـ. قال: (فموسى صدق محمداً فى أن ربه فوق، وفرعون كذب موسى فى أن ربه فوق. فالمقرون بذلك متبعون لموسى ولمحمد، والمكذبون بذلك موافقون لفرعون) أ.هـ.

(١) الرسالة التدمرية (ص/٦٤).

الحيز أو لا، فيكون محلاً للحوادث وكلا ذلك مستحيل، وأيضا إما أن يساوى الحيز أو ينقص عنه فيكون متناهيا أو يزيد عليه فيكون متجزئا، وإذا لم يكن في مكان لم يكن في جهة لا علو ولا سفلا ولا غيرهما لأنها إما حدود وأطراف للأمكنة أو نفس الأمكنة باعتبار عروض الإضافة إلى شئ.

ثم إن بعض المجسمة إذا أثبت لهم برهان وجوب تنزهه تعالى عن المكان يقول: (جهة العلو غير جهة السفلا، جهة السفلا نقص عليه يجب تنزيهه عنها، وأما جهة العلو فكمال ولا يدل العقل على نفيها عن الله).

فالجواب أن يقال لهم: الجهات كلها لا تقتضى الكمال فى حد ذاتها، لأن الشأن ليس فى علو المكان بل الشأن فى علو القدر، بل قد يختص الشخص من البشر بالمكان العال ومن هو أعلى منه قدرا يكون فى المكان المنخفض، ويحصل ذلك للسلطين فإن حرسهم يكونون فى مكان عال وهم أسفل منهم، فلم يكن فى علو الجهة وعلو المكان شأن، ثم الأنبياء مستقرهم فى الدنيا الأرض وفى الآخرة

وأمثال هذا كثير فى كتاب المنهاج^(١)، اقتصرنا على ما أوردناه.

الرد على ابن تيمية :

قال الجلال الدوانى فى شرحه على العضدية ص ٦٧ ما نصه: (ولابن تيمية أبى العباس أحمد وأصحابه ميل عظيم إلى إثبات الجهة، ومبالغة فى القدر فى نفيها، ورأيت فى بعض تصانيفه أنه لا فرق عند بديهته العقل بين أن يقال هو معدوم، أو يقال طلبته فى جميع الأمكنة فلم أجده، ونسب الناقلين إلى التعطيل) أ.هـ.

فليعلم أن معتقد أهل السنة والجماعة أن الله منزه عن التمكن فى مكان، لأن التمكن عبارة عن نفوذ بعد فى بعد آخر متوهم أو متحقق يسمونه المكان، والبعد عبارة عن امتداد بالجسم أو بنفسه عند القائلين بوجود الخلاء، والله منزه عن الامتداد والمقدار لاستلزامه التجزئ.

والدليل على ذلك أنه لو تحيز فإما فى الأزل فيلزم قدم

(٢) أنظر المنهاج (١/٥٦، ١٤٢، ٢٤٢).

الجنة، وهم أعلى قدرا من الملائكة الحافين حول العرش، والذين هم في أعلى من مستقر الأنبياء من حيث الجهة، وكون مستقر أولئك حملة العرش فوق مستقر الأنبياء من حيث الجهة لم يكن دليلا على أنهم أكمل من الأنبياء بل ولا يساؤونهم.

ثم الخلاء وهو الفراغ عند أهل الحق يتناهى، ليس وراء العالم فراغ لا نهاية له فهو مستحيل، وكذلك القول بأن وراء العالم أجراما متواصلة بلا نهاية مستحيل أيضا، وإن أهل الحق لا يثبتون هذا ولا يثبتون هذا، بل ويقولون: وراء العالم لا يوجد فراغ لا متناه ولا أجرام لا متناهية، انتهت الأجسام والأعراض بانتهاء حد العالم، انتهى الخلاء والملاء. والملاء هو الجرم المتواصل.

فنسبة الجهة والمكان لله تعالى مخالف لقوله تعالى: ﴿ليس كمثل شيء﴾ (الشورى: ١١). ومخالف لإجماع المسلمين الذي نقله الأستاذ عبد القاهر التميمي في كتابه الفرق بين الفرق (ص ٣٣٣) فقال ما نصه: (وأجمعوا على أنه لا يحويه مكان ولا يجري عليه زمان) أ.هـ.

قال أبو القاسم الزجاجي في تأويل قوله تعالى: ﴿وهو الذى فى السماء إله وفى الأرض إله﴾ (الزخرف: ٨٤). ما نصه^(١): (والله عز وجل محيط بالأشياء كلها علما لا يعزب عنه منها شيء، وكل هذا يراد به والله أعلم إحاطة علمه بكل شيء، وكون كل شيء تحت قدرته وسلطانه وحكمه وتصرفه، ولا يراد بذلك قرب المكان والحلول فى بعضه دون بعض، جل الله تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا) أ.هـ.

وقال الشيخ شرف الدين بن التلمسانى فى شرح لمع الأدلة ما نصه^(٢): (قوله تعالى: ﴿ليس كمثل شيء﴾ نفى عن نفسه مشابهة العالم إياه، ففى التحيز بجهة من الجهات مشابهة الأجسام والجواهر، وفى التمكن فى مكان مماثلة للجواهر المتمكنة فى الأمكنة، ففى وصفه بالجهات قول بالانحصار فيها، وفى القول بالتمكن فى المكان إثبات الحاجة إلى المكان، وفى كل ذلك إيجاب حدوثه وإزالة

(١) اشتقاق أسماء الله (ص ١٤٧).

(١) شرح لمع الأدلة (ص ٧٠)، مخطوط.

قدمه، وذلك كله محال في حق القديم، ومن تلك النصوص قوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفْرًا أَحَدٌ﴾ (الإخلاص: ٤). والكفو: المساوى والمماثل، فنفى عن نفسه المماثلة والمساواة، ومنها قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ (المؤمنون: ٩١). وقوله: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (الطور: ٤٣). فوجب تنزيهه عن صفات الخلق، ومنها قوله: ﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾ (محمد: ٣٨). فوجب إثبات تعاليه عن كل ما يفتقر إليه الخلق من الاتصاف بالمكان والجهة. ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ (العنكبوت: ٦). فأثبت لنفسه الاستغناء عن جميع العالمين والجهات والأمكنة من أجزاء العالم، فوجب إثبات تعاليه واستغناؤه عن العالمين وعن كل وصف من صفات المحدثين.

ومن البراهين القاطعة أن الجهات الست محدثة وهى أوصاف للعالم المحدث والله تعالى قديم لم يزل، كان ولا مكان ولا حين ولا زمان ولا فوق ولا تحت ولا قدام ولا يمين ولا شمال، فلما أحدث العالم وأخرجه من العدم إلى

الوجود صار العالم محصورا بجهات ست، فما قطعه من أعلى صار فوقا، وما قطعه من أسفل صار تحتا، وما تقدمه صار أماما، وما تأخر عنه صار خلفا، وما تيامن منه صار يمينا، وما تياسر عنه صار شمالا، فصار العالم محصورا بالجهات، وصانع العالم قديم لم يزل، دائم لا يزال، وهو بكل شئ محيط لا كإحاطة الحق باللولؤة بل بالعلم والقدرة والقهر والسلطان، لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، وكل شئ تحت حكمه وقهره وسلطانه) أ.هـ.

قال الفقيه المتكلم ابن المعلم القرشى في كتابه نجم المهتدى^(١) ما نصه: (قال الإمام أبو عبد الله محمد بن عمر الأنصارى القرطبي رحمته الله: والذى يقتضى بطلان الجهة والمكان مع ما قررناه من كلام شيخنا وغيره من العلماء وجهان:

أحدهما: أن الجهة لو قدرت لكان فيها نفي الكمال، وخالق الخلق مستغن بكمال ذاته عما لا يكون به كاملا.

(١) نجم المهتدى ورجم المعنى، (ص ٥٤٥)، مخطوط.

والثانى: أن الجهة إما أن تكون قديمة أو حادثة، فإن كانت قديمة أدى إلى محالين، أحدهما أن يكون مع البارئ فى الأزل غيره، والقديمان ليس أحدهما بأن يكون مكانا للثانى بأولى من الآخر فافتقر إلى مخصص ينقل الكلام إليه، وما يفضى إلى المحال محال) أ.هـ.

وقال الحافظ ابن حجر فى شرح البخارى عند الكلام على حديث جابر: (كنا إذا صعدا كبيرا وإذا نزلنا سبحنا) ما نصه^(١): (قال المهلب: تكبيره ﷺ عند الارتفاع استشعار لكبرياء الله عز وجل وعندما يقع عليه العين من عظيم خلقه أنه أكبر من كل شئ، وتسبيحه فى بطون الأودية مستتبط من قصة يونس فإن بتسبيحه فى بطن الحوت نجاه الله من الظلمات، فسبح النبى ﷺ فى بطون الأودية لينجيه الله منها، وقيل: مناسبة التسبيح فى الأماكن المنخفضة من جهة أن التسبيح هو التنزيه فناسب تنزيهه الله عن صفات الانخفاض، كما ناسب تكبيره عند الأماكن المرتفعة، ولا يلزم من كون جهتي العلو والسفل محالا

(١) فتح البارى (٦/١٣٦).

على الله أن لا يوصف بالعلو، لأن وصفه بالعلو من جهة المعنى، والمستحيل كون ذلك من جهة الحس، وكذلك فى صفة تعالى: العالى والعلو والمتعالى) انتهى، فهذا صريح فى استحالة جهلة العلو وجهة السفلى على الله تعالى.

قال أبو الثناء اللامشى ما نصه^(١): (فصل فى نفي المكان والجهة: ثم إن الصانع جل وعلا عز لا يوصف بالمكان لما مر أنه لا مشابهة بينه تعالى وبين شئ من أجزاء العالم، فلو كان متمكنا بمكان لوقعت المشابهة بينه وبين المكان من حيث المقدار لأن مكان كل متمكن قدر ما يتمكن فيه، والمشابهة منتفية بين الله تعالى وبين شئ من أجزاء العالم لما ذكرنا من الدليل السمعى والعقلى، ولأن فى القول بالمكان قولاً بقدم المكان أو بحدث البارئ تعالى، وكل ذلك محال لأنه لو كان لم يزل فى المكان لكان المكان قديماً أزلياً، ولو كان ولا مكان ثم خلق المكان وتمكن فيه لتغير عن حاله، ولحدثت فيه صفة

(١) التمهيد لقواعد التوحيد (ص ٦٢-٦٣).

التمكن بعد أن لم تكن، وقبول الحوادث من أمارات الحدث وهو على التقدير محال.

وتبين بما ذكرناه أنه ليس بذى جهة من العالم أيضا لأن فيه قولاً بقدّم الجهة، أو يكون البارئ تعالى وجل وعلا محلاً للحوادث، وكل ذلك ضلال، هذا كله مذهب عامة أهل الحق (أ.هـ).

وأما استدلالهم على تعيين جهة الفوق بحديث الجارية فقد قال بعض العلماء: إن الرواية الموافقة للأصول هي رواية مالك^(١) أن الرسول ﷺ قال لها: (أتشهدين أن لا إله إلا الله) قالت: نعم، قال: (أتشهدين أنى رسول الله) قالت: نعم، أخرجها أحمد^(٢) ومالك، أما أحمد فأخرج عن رجل من الأنصار أنه جاء بأمة سوداء فقال: يا رسول الله إن على رقبة مؤمنة فإن كنت ترى هذه مؤمنة فاعتقها، فقال لها رسول الله ﷺ: (أتشهدين أن لا إله إلا الله) قالت: نعم،

(١) أخرجه مالك في الموطأ: كتاب العتاقة والولاء: باب ما يجوز

من العتق في الرقاب الواجبة.

(٢) مسند أحمد (٣/٤٥١ - ٤٥٢).

قال: (أتشهدين أنى رسول الله) قالت: نعم، قال: (أتؤمنين بالبعث بعد الموت) قالت: نعم، قال: (أعتقها). ورجاله رجال الصحيح.

وروى ابن حبان في صحيحه^(١) من حديث الشريد بن سويد الثقفي قال: قلت: يا رسول الله إن أمى أوصت أن يعتق عنها رقبة وعندى جارية سوداء قال: (ادع بها) فجاءت فقال: (من ربك؟) قالت: الله، قال: (من أنا؟) قالت: رسول الله، قال: (أعتقها فإنها مؤمنة) فهذه الرواية أيضا موافقة للأصول، توافق رواية سؤال الملكين فى القبر: (من ربك؟).

ثم إن رواية مسلم فيها مخالفة للأصول، فإنه لا يحكم بالإيمان والإسلام لشخص يريد الدخول فى الإسلام إلا بالشهادتين كما نص على ذلك علماء الإسلام، فالقول بأن الرسول كما فى رواية مسلم حكم بمجرد الإشارة إلى السماء بالإسلام مخالف للأصول، لأن القول الله فى

(١) أخرجه ابن حبان فى صحيحه، أنظر الإحسان بترتيب صحيح

ابن حبان (١/٢٠٦، و٦/٥٦).

السماء يشترك فيه اليهود وغيرهم من الكفار، فكيف يجوز للرسول أن يحكم بمجرد الإشارة لهذه الجارية بالإيمان والإسلام؟، ومن لم يضعف رواية مسلم هذه من المحدثين، فمن كان من أهل التنزيه أول كلمة (أين الله) (بما تعظيمك لله) والإشارة إلى السماء معناه رفيع القدر جدا، وعلّة الاضطراب فيه تكفى لعدم ثبوته لأن هناك رواية (أين ربك؟) فقالت: فى السماء، وفى رواية: (أشارت إلى السماء).

فإن قيل: كيف تكون رواية مسلم مردودة، وكل ما رواه مسلم موسوم بالصحة، فالجواب: أن عددا من أحاديث مسلم ردها علماء الحديث.

وأما ما احتج به ابن قيم الجوزية بما روى أن حسان ابن ثابت أنشد رسول الله ﷺ أبياتا فقال:

شهدت بإذن الله أن محمدا

رسول الذى فوق السموات من عل

وأن أبا يحيى وبحيى كلاهما

له عمل فى دينه متقبل

وأنا أخا الأحقاف إذا قام فيهم

يقوم بذات الله فيهم ويعدل

فقال رسول الله ﷺ: (وأنا)، فالجواب ما قال الحافظ

الهيثمي^(١): (رواه أبو يعلى وهو مرسل) أ.هـ، فلا تقوم به حجة.

وإن قال الجهوى: فقد ورد ذكر الحجاب فى عدة أحاديث صحيحة كحديث مسلم^(٢) من طريق أبى موسى الأشعري: (حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه).

فالجواب: أن الحجاب يرجع إلى الخلق لأنهم هم المحجوبون، وأصل الحجاب الستر الحائل بين الرأى والمرئى، والمراد به فيها المنع من الرؤية، ويستحيل على الله أن يكون نورا حسياً، أو يتصل بذاته نور حسى لأن النور الحسى مخلوق بدلالة قول الله تعالى: ﴿وجعل

(١) مجمع الزوائد (١/٢٤).

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه: كتاب الإيمان: باب قول الرسول: إن الله لا ينام.

الظلمات والنور» (الأنعام: ١). فأخبرنا أن الظلمة والنور كلاهما مجعول لله، أى: مخلوق، فإذا عرف هذا فما ورد من تسمية الله تعالى بالنور فى حديث الأسماء فمعناه: المنير، أى: جاعل النور فى السموات والأرض، وكذلك قول الله تعالى: «الله نور السموات والأرض» (النور: ٣٥). فالحمد لله أن بصرنا معاشر أهل السنة والجماعة لهذا التنزيه الموافق لما كان عليه الصحابة، فمن أدل دليل على موافقتنا للصحابة فى عدم اعتقادنا لما توهمه ظواهر بعض النصوص ما جاء عن ابن عباس بإسناد صحيح موقوفاً عليه وهو مرفوع حكماً: (تفكروا فى كل شئ ولا تفكروا فى ذات الله) فإنه لو كان فهمه لتلك النصوص على حسب الظواهر لم يكن للنهى عن التفكير فى الذات معنى، ولو كان الصواب ما تفهمه الوهابية من تلك النصوص لم يكن لقول السلف: (أمروها كما جاءت بلا كيف) معنى، ولم يكن لانزعاج مالك حين سئل عن الاستواء حتى أخذته الرخصاء وإطراقه معنى.

سادساً: قوله بالجلوس فى حق الله تعالى

أما قول ابن تيمية بالجلوس فى حق الله تعالى فهو ثابت عنه وإن نفاه بعض أتباعه لما استبشعوا ذلك، ذكر ذلك فى كتابه منهاج السنة النبوية^(١) فقال ما نصه: (ثم إن جمهور أهل السنة يقولون إنه ينزل ولا يخلو منه العرش، كما نقل ذلك عن إسحاق بن راهويه وحمام بن زيد وغيرهما ونقلوه عن أحمد بن حنبل فى رسالته) أ.هـ.

وهذه فرية على أهل السنة ولا يستطيع أن يأتى بعبارة لأحد منهم فهذا محض تقول على الأئمة، كما تقول فى مسألة زيارة روضات الأنبياء والأولياء للدعاء عندها رجاء الإجابة، وتعامى عما أطبق عليه السلف والخلف من قصد الروضات رجاء الإجابة من الله. وقال فى كتابه شرح حديث النزول^(٢) ما نصه:

(١) أنظر المنهاج (١/٢٦٢).

(٢) أنظر شرح حديث النزول (ص/٦٦).

(والقول الثالث وهو الصواب وهو المأثور عن سلف الأمة وأئمتها أنه لا يزال فوق العرش، ولا يخلو العرش منه مع دنوه ونزوله إلى السماء الدنيا، ولا يكون العرش فوقه) أ.هـ.

وقال فيه أيضا ما نصه^(١): (والذين يثبتون تقريبه العباد إلى ذاته هو القول المعروف للسلف والأئمة، وهو قول الأشعري وغيره من الكلابية، فإنهم يثبتون قرب العباد إلى ذاته، وكذلك يثبتون استواءه على العرش بذاته ونحو ذلك، ويقولون: الاستواء فعل فعله فى العرش فصار مستويا على العرش، وهذا أيضا قول ابن عقيل وابن الزاغونى وطوائف من أصحاب أحمد وغيرهم) أ.هـ.

وقال فيه أيضا وفى فتاويه ما نصه^(٢): (وقال أهل السنة فى قوله: «الرحمن على العرش استوى» (سورة طه: ٥) الاستواء من الله على عرشه المجيد على الحقيقة

(١) شرح حديث النزول، (ص/١٠٥).

(٢) شرح حديث النزول، (ص/١٤٥)، مجموع الفتاوى (٥/٥١٩).

لا على المجاز) أ.هـ.

وقال أيضا فيهما ما نصه^(١): (وإذا كان قعود الميت فى قبره ليس هو مثل قعود البدن، فما جاءت به الآثار عن النبى ﷺ من لفظ القعود والجلوس فى حق الله تعالى كحديث جعفر بن أبى طالب ﷺ وحديث عمر بن الخطاب ﷺ وغيرهما أولى أن لا يماثل صفات أجسام العباد) أ.هـ.

ويقول ابن تيمية فى كتابه بيان تلبيس الجهمية (٥٧٦/١) ما نصه: (الوجه الخامس: أن العرش فى اللغة السرير بالنسبة إلى ما فوقه، وكالسقف إلى ما تحته، فإذا كان القرآن قد جعل الله عرشا وليس هو بالنسبة إليه كالسقف علم أنه بالنسبة إليه كالسرير بالنسبة إلى غيره، وذلك يقتضى أنه فوق العرش) أ.هـ.

وقال فى تفسير سورة العلق ما نصه^(٢): (ومن ذلك حديث عبد الله بن خليفة المشهور الذى يروى عن عمر

(١) شرح حديث النزول (ص/١٥١). مجموع الفتاوى (٥/٥٢٧).

(٢) مجموعة التفسير (ص/٣٥٤-٣٥٥).

عن النبي ﷺ، وقد رواه أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسى فى مختاره. وطائفة من أهل الحديث تردده لاضطرابه، كما فعل ذلك أبو بكر الإسماعيلى وابن الجوزى وغيرهم، لكن أكثر أهل السنة قبلوه، وفيه قال: (إن عرشه أو كرسيه وسع السموات والأرض، وإنه يجلس عليه فما يفضل منه قدر أربعة أصابع- أو ما يفضل منه إلا قدر أربعة أصابع- وإنه ليئط به أطيظ الرجل الجديد براكبه) أ.هـ.

ثم قال ما نصه^(١): (وهذا وغيره يدل على أن الصواب فى روايته النفى، وأنه ذكر عظمة العرش، وأنه مع هذه العظمة فالرب مستو عليه كله لا يفضل منه قدر أربعة أصابع، وهذه غاية ما يقدر فى المساحة من أعضاء الإنسان) أ.هـ.

فليُنظر إلى قوله: (يدل على أن الصواب فى روايته النفى)، أى: على زعمه أن رواية النفى وهى: (لا يفضل من العرش شئ) أصح من رواية (أنه ما يفضل منه إلا

(٢) مجموعة التفسير، (ص/٣٥٨).

أربعة أصابع)^(١).

ثم قال ما نصه^(٢): (ومن قال: ما يفضل إلا مقدار أربعة أصابع) فما فهموا هذا المعنى، فظنوا أنه استثنى فاستثنوا فغلطوا، وإنما هو توكيد للنفى وتحقيق للنفى العام، وإلا فأى حكمة فى كون العرش يبقى منه قدر أربعة أصابع خالية، وتلك الأصابع أصابع من الناس، والمفهوم من هذا أصابع الإنسان، فما بال هذا القدر اليسير لم يستو الرب عليه) أ.هـ.

وقال فى المنهاج ما نصه^(٣): (وأما قوله إنه يفضل عنه من العرش من كل جانب أربعة أصابع فهذا لا أعرف له قائلًا ولا ناقلًا، ولكن روى فى حديث عبد الله بن خليفة أنه ما يفضل من العرش أربعة أصابع يروى بالنفى ويروى بالإثبات، والحديث قد طعن فيه غير واحد من المحدثين كالإسماعيلى وابن الجوزى، ومن الناس من

(١) مجموعة تفسير (ص/٣٥٦-٣٥٧).

(٢) مجموعة تفسير (ص/٣٥٩).

(٣) أنظر المنهاج (١/٢٦٠-٢٦١).

يجيز نسبة هذا إلى النبي ﷺ وهو كلام صريح فى التجسيم، وانظر أيضا إلى تجويزه أن يكون الرسول ﷺ قال: (يفضل عنه أربعة أصابع) الذى هو أقبح من لفظ النفى، وإن كان كلا اللفظين يقتضى إثبات المساحة والمقدار لذات الله، وقد قام الدليل العقلى القطعى على استحالة ذلك على الله، لأنه يلزم عليه أن يجوز على الله ما يجوز على سائر الأجرام كالشمس من الفناء والتغير، وأن يكون مستدير الشكل أو مربعه أو مثلثه إلى غير ذلك، وهل عرفنا عقلا أن الشمس محدثة إلا بالشكل ونحوه، فلو كان الله كذلك كما هو مقتضى كلامه هذا لجازت الألوهية للشمس عقلا، ومحال أن تثبت الألوهية لغير الله تعالى، فما أدى إلى المحال العقلى وهو الكون ذا مقدار وشكل محال، فثبت المطلوب وهو تنزه الله تعالى عن المقدار والمساحة والشكل.

ويقول فى الفتوى الحموية بعد كلام ما نصه^(١): (وذلك أن الله معنا حقيقة، وهو فوق العرش حقيقة) أ.هـ.

(١) رسالة الفتوى الحموية الكبرى (ص/٧٩).

ذكر له شواهد وقواه، ولفظ النفى لا يرد عليه شئ فإن مثل هذا اللفظ يرد لعموم النفى كقول النبي ﷺ: (ما فى السماء موضع أربعة أصابع إلا وفيه ملك قائم أو قاعد أو راعع أو ساجد). أى: ما فيها موضع، ومنه قول العرب: (ما فى السماء قدر كف سحابا) وذلك لأن الكف يقدر به الممسوحات كما يقدر بالذراع، وأصغر الممسوحات التى يقدر بها الإنسان من أعضائه كف فصار هذا مثلا لأقل شئ. فإذا قيل: إنه ما يفضل من العرش أربعة أصابع كان المعنى ما يفضل منه شئ، والمقصود ببيان أنه أعظم وأكبر من العرش، ومن المعلوم أن الحديث إن لم يكن النبي ﷺ قاله فليس علينا شئ، وإن كان قاله فلم يجمع بين النفى والإثبات، فإن كان قاله بالنفى لم يكن قاله بالإثبات، والذين قالوه بالإثبات ذكروا فيه ما يناسب أصولهم كما بسط فى غير هذا الموضع، فهذا وأمثاله سواء كان حقا أو باطلا لا يقدح فى مذهب أهل السنة ولا يضرهم) أ.هـ.

الرد على ابن تيمية :

فليُنظر إلى قوله: (ولفظ النفى لا يرد عليه شئ) كيف

وأما عبارته فى فتاويه فإنها صريحة فى إثباته الجلوس لله فقال فيه ما نصه^(١): (فقد حدث العلماء المرضيون وأولياؤه المقربون أن محمداً رسول الله ﷺ يجلسه ربه على العرش معه) أ.هـ.

وقد نقل عنه هذه العقيدة أبو حيان الأندلسى النحوى المفسر المقرئ فى تفسيره المسمى بالنهر قال: وقرأت فى كتاب لأحمد بن تيمية هذا الذى عاصرنا وهو بخطه سماه كتاب العرش: إن الله يجلس على الكرسى وقد أخلى منه مكانا يقعد معه رسول الله ﷺ، تحيل عليه التاج محمد بن على بن عبد الحق البارنبارى، وكان أظهر أنه داعية له حتى أخذه منه وقرأنا ذلك فيه^(٢) أ.هـ.

ونقل ابن حيان هذا كان قد حذف من النسخة المطبوعة القديمة، ولكن النسخة الخطية تثبتته، وسبب حذفه من النسخة المطبوعة ما قاله الزاهد الكوثرى فى

تعليقه على السيف^(١)، قال: وقد أخبرنى مصحح طبعه بمطبعة السعادة أنه استفظعها جداً فحذفها عند الطبع لئلا يستغلها أعداء الدين، ورجانى أن أسجل ذلك هنا استدراكاً لما كان منه ونصيحة للمسلمين) أ.هـ.

فلينظر العقلاء إلى تخبط ابن تيمية حيث يقول مرة: إنه جالس على العرش، ومرة إنه جالس على الكرسى، وقد ثبت فى الحديث أن الكرسى بالنسبة للعرش كحلقة فى أرض فلاة فكيف ساغ لعقله.

والأعجب من ذلك نقله قول عثمان الدارمى^(٢) المجسم عن الله سبحانه وتعالى: (ولو قد شاء لاستقر على ظهر بعوضة فاستقلت به بقدرته ولطف ربوبيته، فكيف على عرش عظيم أكبر من السموات والأرض) أ.هـ.، نعوذ بالله من مقت القلوب.

ويبطل قوله هذا كلام الإمام على بن الحسين زين

(٢) أنظر فتاويه (٤/٣٧٤).

(١) أنظر النهر الماد، تفسير آية الكرسى.

(٢) أنظر السيف الصقيل (ص/٨٥).

(١) بيان تلبيس الجهمية (١/٥٦٨).

العابدين عليهما السلام: (سبحانك لا تُحسُّ ولا تُمسُّ ولا تُجسُّ) (١).
ويطله أيضا قول الإمام الحجة أبي المظفر الإسفرايني
في رده على شبه الكرامية ونصه (٢): (ولما ورد عليهم
هذا الإلزام تحيروا فقال قوم منهم: إنه أكبر من العرش،
وقال قوم إنه مثل العرش، وارتكب ابن المهاجر منهم
قوله: إن عرضه عرض العرش، وهذه الأقوال كلها
متضمنة لإثبات النهاية، وذلك علمُ الحدوث لا يجوز أن
يوصف به صانع العالم) أ.هـ.

ونقل ابن تيمية وأمثاله لا ينفع في العقائد لأنه لا يحتج
في إثباته صفة لله إلا بنص الكتاب والسنة المتفق على
صحتها السالم رواتها عن الضعيف، فلا يحتج في ذلك
بالحديث إذا كان في رواته من هو مختلف فيه، فلا تثبت
صفة بقول صحابي ولو صح الإسناد إليه، وما يروى عن
التابعي أولى بعدم الاحتجاج به.

وقد ناقض ابن تيمية نفسه فيذكر في منهاجه عن

(٢) أنظر إتحاف السادة المتقين لمرنضى الزبيدي (٤/٣٨٠).

(٣) التبصير في الدين، ص ٦٦.

حديث المهدي ما نصه (١): (الثاني: أن هذا من أخبار
الآحاد، فكيف يثبت به أصل الدين الذي لا يصح الإيمان
إلا به) أ.هـ، ثم إنه احتج بالمختلف في إسناده بل
والموضوع، إضافة إلى احتجاجه بأقوال السجزي وعثمان
الدارمي لإثبات بزعمه التجسيم ونسبة الحد والحركة
والجلوس في حق الله سبحانه وتعالى، أليس هذا تلونا؟!
وقد ثبت أنه كان يعتمد كتبهما كما ذكر تلميذه ابن القيم
في كتابه المسمى (اجتماع الجيوش الإسلامية) ونصه (٢):
(كتاب الدارمي - أي النقض على بشر المريسي والرد
على الجهمية - من أجل الكتب المصنفة في السنة
وأفعتها)، ثم قال: (وكان شيخ الإسلام ابن تيمية يوصي
بهما أشد الوصية ويعظمهما جدا) أ.هـ، وكيف لا
يعظمهما وهما مرجعه في التجسيم والتنشبيه.

وأما ما هو مذكور في نسخ الإبانة الموجودة اليوم مع
نسبتها إلى أبي الحسن الأشعري من هذه العبارة وهذه هي

(١) أنظر الكتاب (٢/١٣٣).

(١) أنظر الكتاب (ص/٨٨).

بحروفها : (ومن دعاء أهل الإسلام جميعا إذا هم رغبوا إلى الله بالأمر النازل بهم يقولون: يا ساكن العرش، ومن حلفهم جميعا قولهم: لا والذي احتجب بسبع سموات)، فهو كذب ظاهر تعمد مفتريه على الأشعرى نسبة ذلك إليه، لأن الواقع يكذب ذلك فإن هاتين العبارتين لم ينقلتا عن إمام ولا عن عالم أنه قال ذلك في دعائه أو في حلفه بل ولا عن عوام المسلمين.

فما أوقع هذا الذى نسب إليه هذا الكلام فإن لا يستحى من الله ولا من المسلمين، فهذا الكتاب لا يجوز الاعتماد عليه لأن كل نسخة فيها هذا الكلام، وما أشبهه فهى مدسوسة على الإمام أبى الحسن، والإمام أبو الحسن من أشهر من علم بنفى التحيز عن الله، وقد صرح بمنع قول إن الله بمكان كذا، وإن الله بمكان واحد، أو فى جميع الأمكنة، وهذا الذى توارد عليه أصحابنا الذين تلقوا عنه عقيدة أهل السنة والذين تلقوا عنهم وهلم جرا.

قال الإمام أبو حنيفة رحمته الله فى كتابه الوصية ما نصه: (نقر بأن الله على العرش استوى من غير أن يكون له

حاجة إليه واستقرار عليه، وهو الحافظ للعرش وغير العرش من غير احتياج، فلو كان محتاجا لما قدر على إيجاد العالم وتدبيره كالمخلوق، ولو كان محتاجا إلى الجلوس والقرار فقبل خلق العرش أين كان الله تعالى، تعالى عن ذلك علوا كبيرا) أ.هـ.

الفصل الرابع

علماء المذاهب الأربعة يردون افتراءات ابن تيمية والوهابية

ادعت الوهابية أن الله تعالى ليس داخل العالم بل هو خارج العالم، مقلدين بذلك سلفهم ابن تيمية؛ فهو يقول في الرسالة التدمرية صفحة ٥٣ ما نصه: [وليس في الكتاب والسنة وصف له بأنه لا داخل العالم ولا خارجه ولا مباينه ولا مداخله] أ.هـ.

ويقول في تفسير سورة الأعلى ما نصه^(١): [والجهمية الذين يقولون: ليس هو داخل العالم ولا خارجه ولا يشار إليه البتة، هم أقرب إلى التعطيل والعدم] أ.هـ.

وقال في موضع آخر منه ص ٢٩٠ ما نصه: [وإن قيل: إنه لا داخل العالم ولا خارجه كان ذلك تعطيلاً له، فهو منزّه عن هذا] أ.هـ.

فالجواب أن يقال: الله تعالى نفى عن نفسه المماثلة

(١) مجموعة تفسير (ص/٢٠).

لشئ بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (الشورى: ١١)، أطلق نفى مماثلة شئ من الخلق له، ولم يخص شيئاً دون شئ، فبناء على ذلك نقول: لو كان الله تعالى متصلاً بشئ من الخلق لكان له أمثال لا تحصى، ولو كان منفصلاً عن شئ من المخلوقات لكان له أمثال لا تحصى، ولو كان متحركاً لكان له أمثال، ولو كان ساكناً لكان له أمثال، ولو كان ساكناً وقتاً ومتحركاً وقتاً لكان له أمثال لا تحصى، ولو كان له حد، أى: كمية لكان له أمثال لا تحصى، فأفهمنا الله تعالى بهذه الآية أنه منزّه عن هذه الأوصاف.

فإن قيل: لو كان الله منتفياً عنه هذه الأوصاف لم يكن موجوداً، فالجواب: ليس من شرط الوجود أن يمكننا تصوره، ففي المخلوق ما لا يمكن تصوره وهو الوقت الذى لم يكن فيه نور ولا ظلام، والإيمان بذلك واجب لقول الله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ (الأنعام: ١)، أى: أوجد الظلمات والنور بعد أن كانا معدومين، وذلك أن أول المخلوقات من النور المحمدي الماء والعرش ثم القلم واللوح بدليل

حديث عمران بن حصين رضي الله عنه أنه رضي الله عنه قال: (كان الله ولم يكن شئ غيره وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شئ)، وقوله رضي الله عنه: (أول ما خلق الله تعالى القلم فقال له: اكتب، فقال: وما أكتب؟ فجرى القلم بما كان ويكون)^(١).

فنعلم من الحديثين أن النور والظلام لم يكونا قبل الأربعة إنما وجدا بعدها، ولا يمكن لأحد أن يتصور هيئة وقت ليس فيه نور ولا ظلام، وإنما يتصور العقل وقتاً يوجد فيه أحدهما دون الآخر، نقول: كذلك يصح وجود الله تعالى مع انتفاء هذه الأوصاف كلها عنه، فمن هنا قال أئمة أهل السنة كالإمام أحمد بن حنبل والإمام ذى النون المصري وغيرهما: (مهما تصورت ببالك فالله بخلاف ذلك)، روى ذلك الحافظ الخطيب البغدادي عن الإمام ذى النون المصري، ورواه عن الإمام أحمد بن حنبل أبو الفضل التميمي في كتابه اعتقاد الإمام المبجل أحمد بن حنبل.

وفي معناه قول ابن عباس رضي الله عنهما: (تفكروا في خلق الله

(١) رواه أبو داود الطيالسي بنحوه في مسنده (ص/٧٩).

ولا تفكروا في ذات الله)، رواه البيهقي في كتاب الأسماء والصفات بإسناد جيد، لأنه لا يمكن تصوير الله في النفس، ونص على ذلك جماعة من علماء المذاهب الأربعة منهم الإمام الجليل أبو سعيد المتولى أحد أصحاب الوجوه في مذهب الشافعي وهم الطبقة التي تلى الإمام الشافعي، ثم النووي وابن حجر الهيثمي وغيرهما على ذلك. ومن المالكية سيدي أبو عبد الله محمد جلال، والعالم محمد بن أحمد ميارة وغيرهما، ومنهم من الحنفية أبو المعين النسفي، والعالم الشهير محمود بن محمد القونوي شارح العقيدة الطحاوية وغيرهما، بل ذلك يفهم من قول الطحاوي: (تعالى - يعنى الله - عن الحدود والغايات).. لأن الشئ الذى لا كمية له لا يصح فى حقه الاتصال والانفصال. ومن الحنابلة الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزى وغيره، بل قول الطحاوى المذكور - وهو نقل عن السلف كلهم - فيه تنزيه الله عن الاتصال والانفصال لنقله عنهم نفي الحد عن الله، والحد هو الكمية، أى: الجرْم، وهو الذى يسمى جوهرًا فى اصطلاح علماء التوحيد، وهو أصغر كمية، وأصغر جرم لا يقبل

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (الشورى: ١١)، فى نفى الاتصال عن العالم والانفصال عنه والكون داخله أو خارجه، وذلك لأن العالم جوهر وعرض، والجوهر إما جرم كثيف وإما جرم لطيف، والأول كالإنسان والجمادات، والثانى كالنور والظلام والريح، والعرض صفات الجوهر كالحركة والسكون، ولو كان الله تعالى جوهرًا يتحيز كالإنسان لكان له أمثال، وكذلك لو كان متصلًا أو منفصلًا لكان له أمثال فى خلقه، ولو كان داخل العالم لكان محويًا بالعالم ومظروفًا وذلك يقتضى إثبات الكمية لله تعالى، ولو كان كذلك لكان له أمثال فى خلقه، ولو كان خارج العالم لكان محاذيًا للعالم بقدر العالم أو أصغر أو أكبر منه، وذلك يقتضى تقدير ذات الله ويؤدى إلى إثبات الجزء له تعالى، وذلك ينافى الأزلية والقدم، والله تبارك وتعالى هو الذى جعل خلقه على مقادير مختلفة ولو كان له مقدار لكان له أمثال فى خلقه.

رد علماء الحنابلة :

وقد نص الإمام المحدث الحافظ المفسر عبد الرحمن

الانقسام، وهو فى نهاية القلة بحيث لا يقبل الانقسام، سُمى جوهرًا لأنه أصل الجسم، والجوهر فى اللغة: الأصل كما قال الحافظ اللغوى مرتضى الزبيدى، ويقال فى اصطلاحهم لما زاد على ذلك جسم، ومن ليس له كمية لا يوصف بالاتصال والانفصال، فإذا تقرر هذا فلا يهولنكم قول المشبهة: إن القول بأن الله موجود من غير أن يكون متصلًا بالعالم ولا منفصلًا عنه ولا داخله ولا خارجه نفى لوجود الله، فيقال لهم: هذه شبهة بنيتموها على أصل غير صحيح، وهو أنكم جعلتم شرط الوجود أن يكون الشيء له اتصال أو انفصال وأن يكون داخل العالم أو خارجه، فالمشبهة يعترفون أن الله كان موجوداً قبل العالم لا داخله ولا خارجه، قال أهل السنة: كذلك بعد أن خلق العالم هو موجود كما كان لا داخل العالم ولا خارجه، فبهذا تكون قد بطلت شبهتهم وتمويههم.

ومن غباوة العقل ما نقله ابن تيمية عن بعض رءوس المشبهة وهو عثمان بن سعيد الدارمى أن شرط الحى الحركة مستحسنًا له غير مستنكر، ويكفى قول الله تعالى:

ويحاذى ومن ضرورة المحاذى أن يكون أكبر من المحاذى أو أصغر أو مثله، وأن هذا ومثله إنما يكون في الأجسام، وكل ما يحاذى الأجسام يجوز أن يمسه، وما جاز عليه مماسة الأجسام ومباينتها فهو حادث، إذ قد ثبت أن الدليل على حدوث الجواهر قبولها المماسّة والمباينة. فإن أجازوا هذا عليه قالوا بجواز حدوثه، وإن منعوا هذا عليه لم يبق لنا طريق لإثبات حدث الجواهر، ومتى قدرنا مستغنياً عن المحل ومحتاجاً إلى الحيز، ثم قلنا: إما أن يكونا متجاورين أو متباينين كان ذلك محالاً، فإن التجاور والتباين من لوازم التحيز في المتحيزات.

وقد ثبت أن الاجتماع والافتراق من لوازم التحيز، والحق سبحانه وتعالى لا يوصف بالتحيز لأنه لو كان متحيزاً لم يخل إما أن يكون ساكناً في حيزه أو متحركاً عنه، ولا يجوز أن يوصف بحركة ولا سكون ولا اجتماع ولا افتراق، ومن جاور أو باين فقد تناهى ذاتاً، والتنهاتى إذا اخص بمقدار استدعى مخصصاً، وكذل ينبغي أن يقال ليس بداخل في العالم وليس بخارج منه لأن الدخول

ابن الجوزى الحنبلى على نفى التحيز فى المكان والاتصال والانفصال والاجتماع والافتراق عن الله تعالى، فقال فى كتابه (دفع شبه التشبيه)^(١) يحكى قول المجسم الحنبلى وهو ابن حامد قال - يعنى ابن حامد المجسم -: لو قد ثبت أن الأماكن ليست فى ذاته ولا ذاته فيها، فثبت انفصاله عنها ولا بد من بدء يحصل به الفصل، فلما قال استوى علمنا اختصاصه بتلك الجهة، قال: ولا بد أن يكون لذاته نهاية وغاية يعلمها. قلت: هذا رجل لا يدري ما يقول، لأنه إذا قدر غاية وفصل بين الخالق والمخلوق فقد حدده وأقر بأنه جسم وهو يقول فى كتابه: إنه ليس بجوهر، لأن الجوهر ما يتحيز ثم يثبت له مكاناً يتحيز فيه.

قلت: وهذا كلام جهل من قائله وتشبيه محض، فما عرف هذا الشيخ ما يجب للخالق تعالى وما يستحيل عليه، فإن وجوده تعالى ليس كوجود الجواهر والأجسام التى لا بد لها من حيز، والتحت والفوق إنما يكون فيما يقابل

(١) دفع شبه التشبيه (ص/٤٠).

والخروج من لوازم المتحيزات فهما كالحركة والسكون
وسائر الأعراض التي تحس بالأجرام.

وأما قولهم: (خلق الأماكن لا في ذاته فثبت انفصاله
عنها)، قلنا: ذاته المقدس لا يقبل أن يخلق فيه شيء ولا أن
يحل فيه شيء، وقد حملهم الحس على التشبيه والتخليط
حتى قال بعضهم: إنما ذكر الاستواء على العرش لأنه
أقرب الموجودات إليه، وهذا جهل أيضاً لأن قرب
المسافة لا يتصور إلا في جسم، ويعز علينا كيف ينسب
هذا القائل إلى مذهبنا، واحتج بعضهم بأنه على العرش
بقوله تعالى: ﴿لِيَهِيَ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ
يَرْفَعُهُ﴾ (فاطر: ١٠)، ويقوله: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾
(الأنعام: ١٨)، وجعلوا ذلك فوقية حسية ونسوا أن
الفوقية الحسية إنما تكون لجسم أو جوهر، وأن الفوقية قد
تطلق لعلو المرتبة فيقال: فلان فوق فلان، ثم إنه كما قال
تعالى: ﴿فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ قال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾، فمن
حملها على العلم حمل خصمه الاستواء على القهر،
وذهبت طائفة إلى أن الله تعالى على عرشه وقد ملأه

والأشبه أنه مماس للعرش والكرسى موضع قدميه، قلت:
المماسة إنما تقع بين جسمين وما أبقى هذا في التجسيم
بقية [أ.هـ. كلام ابن الجوزي ولقد أجاد وشفى وكفى.

رد علماء الشافعية :

وقال الإمام أبو منصور المحدث الفقيه الشافعي
البغدادي^(١) الذي وصفه ابن حجر بأنه الإمام الكبير إمام
أصحابنا، أي: الشافعية، وهو من جملة مشايخ البيهقي:
(وأجمع أصحابنا على إحالة القول بأنه في مكان أو في
كل مكان، ولم يجيزوا عليه مماسة ولا ملاقة بوجه من
الوجوه، ولكن اختلفت عباراتهم في ذلك فقال أبو الحسن
الأشعري: إن الله عز وجل لا يجوز أن يقال: إنه في
مكان ولا يقال: إنه مباين للعالم ولا إنه في جوف العالم،
لأن قولنا: إنه في العالم يقتضى أن يكون محدوداً متناهيًا،
وقولنا: إنه مباين له وخارج عنه يقتضى أن يكون بينه
وبين العالم مسافة والمسافة مكان، وقد أطلقنا القول بأنه

(١) تفسير الأسماء والصفات (ص/١٥١)، مخطوط.

غير مماس لمكان) انتهى.

وقد ذكر الفقيه يوسف الأردبيلي الشافعي^(١) أن من أثبت لله الاتصال أو الانفصال فهو كافر.

وقال النووي الشافعي^(٢) ما نصه: (وتحصل الردة بالقول الذي هو كفر، سواء صدر عن اعتقاد أو عناد أو استهزاء، هذا قول جملي، وأما التفصيل فقال المتولي: من اعتقد قدم العالم، أو حدوث الصانع، أو نفي ما هو ثابت للتقديم بالإجماع ككونه عالماً قادراً، أو أثبت ما هو منفي عنه بالإجماع كالألوان، أو أثبت له الاتصال والانفصال كان كافراً) أ.هـ.

وممن قال بنفي الاتصال والانفصال بالعالم عن الله تعالى الغزالي، قال ابن حجر الهيتمي الشافعي^(٣) في كتابه (الإعلام بقواطع الإسلام)، في شرح كلام للغزالي ونصه: (ومن ثم قال الغزالي معناه أن مصحح الاتصال

(١) الأنوار لأعمال الأبرار (٢/٤٨١).

(٢) روضة الطالبين (١٠/٦٤).

(٣) كتاب الإعلام بقواطع الإسلام بهامش الزواجر (٢/٤٣ - ٤٤).

والانفصال الجسمية والتحيز وهو محال - على البارئ - فانفك عن الضدين، كما أن الجماد لا هو عالم ولا جاهل لأن مصحح العلم هو الحياة فإذا انتفت الحياة انتفى الضدان) أ.هـ.

رد علماء المالكية :

وقال العلامة محمد بن أحمد المشهور بميارة المالكي^(١) في كتابه الدر الثمين ما نصه: (مسألة: سئل الإمام العالم أبو عبد الله سيدي محمد بن جلال هل يقال: المولى تبارك وتعالى لا داخل العالم ولا خارج العالم؟.. فأجاب السائل: هكذا نسمعه من بعض شيوخنا، واعترضه بعضهم بأن هذا رفع للنقيضين، وقال بعض فقهاءنا في هذه المسألة: هو الكل، أي الذي قام به كل شيء، وزعم أنه للإمام الغزالي، وأجاب بعضهم: أن هذا السؤال معضل ولا يجوز السؤال عنه، وزعم ابن مقلش هكذا أجاب عنه في شرحه على الرسالة، فأجاب: بأننا نقول ذلك ونجزم به

(١) الدر الثمين (ص/٢٤-٢٥).

ونعتقد أنه لا داخل العالم ولا خارج العالم، والعجز عن الإدراك إدراك لقيام الدلائل الواضحة على ذلك عقلاً ونقلاً، أما النقل فالكتاب والسنة والإجماع، أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى: ١١)، فلو كان في العالم أو خارجاً عنه لكان مماثلاً، وبيان الملازمة واضح، أما في الأول: فلأنه إن كان فيه صار من جنسه فيجب له ما وجب له، وأما الثاني: فلأنه إن كان خارجاً لزم إما اتصاله وإما انفصاله، وانفصاله إما بمسافة متناهية أو غير متناهية، وذلك كله يؤدي لافتقاره إلى مخصص، وأما السنة فقوله ﷺ: (كان الله ولا شيء معه).

وأما الإجماع فأجمع أهل للحق قاطبة على أن الله تعالى لا جهة له، فلا فوق ولا تحت ولا يمين ولا شمال ولا أمام ولا خلف.

وأما العقل فقد اتضح لك اتضاحاً كلياً مما مر في بيان الملازمة في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ والاعتراض بأنه رفع للنقيضين ساقط، لأن التناقض إنما يعتبر حيث

يتصف المحل بأحد النقيضين ويتواردان عليه، وأما حيث لا يصح تواردهما على المحل ولا يمكن الاتصاف بأحدهما فلا تناقض كما يقال مثلاً: الحائط لا أعمى ولا بصير، فلا تناقض لصدق النقيضين فيه لعدم قبوله لهما على البدلية، وكما يقال في البارئ أيضاً: لا فوق ولا تحت وقس على ذلك. وقول من قال: إنه الكل زاعماً أنه للغزالي فقضية تتحو منحى الفلسفة أخذ بها بعض المتصوفة وذلك بعيد من اللفظ، وما أجاب به بعضهم أنه معضل لا يجوز السؤال عنه ليس كما زعم لوضوح الدليل على ذلك، وإن صح ذلك عن ابن مقلاش فلا يلتفت إليه في هذا لعدم إتقانه طريق المتكلمين، إذ كثير من الفقهاء ليس له خبرة به فضلاً عن إتقانه) أ.هـ.

رد علماء الأحناف :

وقال الشيخ أبو المعين ميمون بن محمد النسفي الحنفي لسان المتكلمين في (تبصرة الأدلة)^(١) في رد قول

(١) تبصرة الأدلة (١/ ١٧٦ - ١٧٧).

المشبهة: إنه تعالى لما كان موجوداً إما أن يكون داخل العالم وإما أن يكون خارج العالم، وليس بداخل العالم فكان خارجاً منه، وهذا يوجب كونه بجهة منه، قال: (والجواب عن هذا الكلام على نحو ما أجبنا عن الشبهة المتقدمة أن الموصوف بالدخول والخروج هو الجسم المتبعض المتجزئ، فأما ما لا تبعض له ولا تجزؤ فلا يوصف بكونه داخلياً ولا خارجياً) أ.هـ.

ثم قال في إبطال قول المشبهة: لما كان الله تعالى موجوداً إما أن يكون مماساً للعالم أو مبايناً عنه، وأيهما كان ففيه إثبات الجهة، إذا ما ذكر من وصف الجسم، وقد قامت الدلالة على بطلان كونه جسماً، ألا ترى أن العرض لا يوصف بكونه مماساً للجوهر ولا مبايناً له، قال: (وهذا كله لبيان أن ما يزعمون ليس من لواحق الوجود بل هو من لواحق التبعض والتجزئ والتناهي، وهي كلها محال على القديم تعالى) أ.هـ.

يعنى أنه ليس من شرط الموجود كون الوجود مماساً له أو مبايناً أو متصلاً بغيره أو منفصلاً عنه أو داخلياً فيه

أو خارجاً عنه، إنما هذا من شرط التبعض والتجزئ والتناهي وذلك كله محال على القديم تعالى.

وقال العلامة البياضى الحنفى فى إشارات المرام^(١) ممزوجاً بالشرح ما نصه: (الخامس: ما أشار إليه، وقال فى الفقه الأيسط: كان الله تعالى ولا مكان، كان قبل أن يخلق الخلق كان ولم يكن أين) أى مكان (ولا خلق ولا شئ، وهو خالق كل شئ) موجد له بعد العدم فلا يكون شئ من المكان والجهة قديماً وفيه إشارات:

الأولى: الاستدلال بأنه تعالى لو كان فى مكان وجهة لزم قدمهما، وأن يكون تعالى جسماً، لأن المكان هو الفراغ الذى يشغله الجسم، والجهة اسم لمنتهى مأخذ الإشارة ومقصد المتحرك فلا يكونان إلا للجسم والجسمانى وكل ذلك مستحيل كما مر بيانه، وإليه أشار بقوله: (كان ولم يكن أين ولا خلق ولا شئ وهو خالق كل شئ)، وبطل ما ظنه ابن تيمية منهم من قدم العرش كما فى شرح العضدية.

(١) إشارات المرام (ص/١٩٧-١٩٨).

البركات لقوله تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ (الذاريات: ٢٢)، مع الإشارة إلى اتصافه تعالى بنعوت الجلال وصفات الكبرياء، وكونه تعالى فوق عباده بالقهر والاستيلاء. وإلى الجواب بمنع حمل ما ورد في الآيات والأحاديث على الاستقرار والتمكن، ومنع رفع الأيدي لاعتقاده بل كل ذلك بالمعنى الذى ذكرنا ههنا وهو الذى لا يناقى وصف الكبرياء، ولا يتطرق إليه سمات الحدوث والفناء كما أشار إليه بقوله فيه (وعليه) أى يخرج على أنه يدعى من أعلى، ويوصف بنعوت الجلال وصفات الكبرياء ما روى فى الحديث أن رجلاً - وهو عمر بن الشريد كما رواه أبو هريرة، وعبد الله بن رواحة كما بينه الإمام فى مسنده بتخريج الحارثى وطلحة والبلخى والخوارزمى - أتى إلى النبى ﷺ بأمة سوداء فقال: وجب على عتق رقبة مؤمنة، قال: إن أمى هلكت وأمرت أن أعتق رقبة مؤمنة، ولا أملك إلا هذه، وهى جارية سوداء أعجمية لا تدرى ما الصلاة أفترجيني هذه؟ عما لزم بالوصية كما فى مصنف الحافظ عبد الرزاق، وليس فى الروايات الصحيحة أنها كانت خرساء كما قيل، فقال لها

الثانية: الجواب بأن لا يكون البارئ تعالى - داخل العالم - لامتناع أن يكون الخالق داخلاً فى الأشياء المخلوقة، ولا خارجاً عنه بأن يكون فى جهة منه لوجوده تعالى قبل خلق المخلوقات وتحقق الأمكنة والجهات، وإليه أشار بقوله: ﴿هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ (الأنعام: ١٠٢)، وهو خروج عن الموهوم دون المعقول.

الثالثة: الجواب بأن كون القائم بنفسه المتحيز بالذات غير مسلم بل هو المستغنى عن محل يقوم به كما فى شرح المواقف وإليه لوح بقوله: كان الله ولا مكان) أ.هـ. ثم قال: (السادس: ما أشار إليه بقوله فيه: "وأنه تعالى يدعى من أعلى" للإشارة إلى ما هو وصف للمدعو تعالى من نعوت الجلال وصفات الكبرياء والألوهية والاستغناء "لا من أسفل، لأن الأسفل"، أى: الإشارة إليه "ليس من وصف الربوبية والألوهية"، والكبرياء والفوقية بالاستيلاء "فى شئ"، فأشار إلى الجواب بأن رفع الأيدي عند الدعاء إلى جهة السماء ليس لكونه تعالى فوق السموات العلى، بل لكونها قبلة الدعاء، إذ منها يتوقع الخيرات ويستنزل

النبى ﷺ: (أمؤمنة أنت؟)، قالت: نعم، فقال النبى ﷺ: (أين الله؟) - سائلاً عن المنزلة والعلو على العباد علو القهر والغلبة، ومشيراً أنه إذا دعاه العباد استقبلوا السماء دون ظاهره من الجهة، لكن لما كان التنزيه عن الجهة مما يقصر عنه عقول العامة فضلاً عن النساء حتى يكاد يجزم بنفى ما ليس فى الجهة كان الأقرب إلى إصلاحهم والأليق بدعوتهم إلى الحق ما يكون ظاهراً فى الجهة كما فى شرح المقاصد- فأشارت إلى السماء- إشارة إلى أعلى المنازل، كما يقال فلان فى السماء، أى: رفيع القدر جداً كما فى التقديس للرازى- فقال ﷺ: (أعتقها فإنها مؤمنة) أ.هـ.

ثم قال: فأشار إلى الجواب بأن السؤال والتقرير لا يدلان على المكان بالجهة لمنع البراهين اليقينية عن حقيقة الأينية.. أ.هـ.

ثم قال البياضى^(١): الرابعة: أنه ﷺ أراد امتحانها، هل تقر بأن الخالق الفعال المتعالى هو الله الذى إذا دعاه

(١) إشارات المرام (ص/١٩٩-٢٠٠).

الداعى استقبل السماء، كما دل السؤال والتقرير كما فى شرح مسلم للنووى، وإليه أشار بترتيب التخريج على أنه يدعى من أعلى لا من أسفل.

الخامسة: أنها كانت أعجمية لا تقدر أن تفصح عما فى ضميرها من اعتقاد التوحيد بالعبارة فتعرف بالإشارة أن معبودها إله السماء، فإنهم كانوا يسمون الله إله السماء كما دل السؤال والاكتفاء بتلك الإشارة كما فى الكفاية لنور الدين البخارى.. أ.هـ.

ثم قال البياضى: فقال فيه: (فمن قال لا أعرف ربي أفى السماء أم فى الأرض فهو كافر).. لكونه قائلاً باختصاص البارئ بجهة وحيز وكل ما هو مختص بالجهة والحيز فإنه محتاج محدث بالضرورة فهو قول بالنقص الصريح فى حقه تعالى.

كذا من قال: (إنه على العرش ولا أدرى العرش أفى السماء أم فى الأرض)، لاستلزامه القول باختصاصه تعالى بالجهة والحيز والنقص الصريح فى شأنه سيما فى القول بالكون فى الأرض ونفى العلو عنه تعالى بل نفى

ذات الإله المنزه عن التحيز ومثابهة الأشياء.. أ.هـ.
ثم قال البياضى: **الثانية:** إكفار من أطلق التشبيه والتحيز، وإليه أشار بالحكم المذكور لمن أطلقه واختاره الإمام الأشعري فقال فى النوادر: من اعتقد أن الله جسم فهو غير عارف بربه وإنه كافر به، كما فى شرح الإرشاد لأبى قاسم الأنصارى، وفى الخلاصة أن المشبه إذا قال: له تعالى يد ورجل كما للعباد فهو كافر.. أ.هـ.
ثم قال: **الرابعة:** الرد على من أنكر إكفار المشبه مطلقاً ذهاباً إلى أن القائل بأنه جسم غلط فيه غير كافر، لأنه لا يطرد قوله بموجبه كما اختاره الباقلاني كما فى شرح الإرشاد، واختاره الأمدى فى الأبرار، فقال فى خاتمته: إنما يلزم التكفير أن لو قال إنه جسم كالأجسام، وليس كذلك بل ناقض كلامه فى فصل التنزيه منه، ومن المناجح حيث قال فيه: ومن وصفه تعالى بكونه جسماً، منهم من قال إنه جسم أى موجود لا كالأجسام، كبعض الكرامية، ومنهم من قال إنه على صورة شاب أمرد، ومنهم من قال على صورة شيخ أشمط، وكل ذلك كفر

وجهل بالرب ونسب للنقص الصريح إليه، تعالى عن ذلك علواً كبيراً.. انتهى كلام البياضى.
قال الحافظ ابن حجر فى شرح البخارى^(١) ما نصه: فمعتقد سلف الأئمة وعلماء السنة من الخلف أن الله منزّه عن الحركة والتحول والحلول، لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ.. أ.هـ.
وقال الإمام أبو القاسم الأنصارى النيسابورى شارح كتاب الإرشاد لإمام الحرمين^(٢) بعد كلام فى الاستدلال على نفى التحيز فى الجهة عن الله تعالى ما نصه: ثم نقول سبيل التوصل إلى درك المعلومات الأدلة دون الأوهام، ورب أمر يتوصل العقل إلى ثبوته مع تقاعد الوهم عنه، وكيف يدرك العقل موجوداً يحاذى العرش مع استحالة أن يكون مثل العرش فى القدر أو دونه أو أكبر منه، وهذا حكم كل مختص بجهة، ثم نقول الجوهر

(١) فتح البارى (٧/ ١٢٤).

(٢) شرح الإرشاد (ق/ ٥٨ - ٥٩)، مخطوط.

الفرد^(١) لا يتصور في الوهم وهو معقول بالدليل، وكذلك الوقت الواحد والأزل والأبد، وكذلك الروح عند من يقول إنه جسم، ومن أراد تصوير الأرض والسماء مثلاً في نفسه فلا يتصور له إلا بعضها، وكذلك تصوير ما لا نهاية له من معلومات الله تعالى ومقدوراته، فإذا زالت الأوهام عن كثير من الموجودات، فكيف يطلب بها القديم سبحانه الذي لا تشببه المخلوقات، فهو سبحانه لا يتصور في الوهم فإنه لا يتصور إلا صورة ولا يتقدر إلا مقدر، قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، ومن لا مثل له لا يتمثل في الوهم، فمن عرفه عرفه بنعت جلاله بأدلة العقول وهي الأفعال الدالة عليه وعلى صفاته، وقد قيل في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ﴾ (النجم: ٤٢)، إليه انتهى فكر من تفكر، هذا قول أبي بن كعب وعبد الرحمن بن أنعم، وروى أبي بن كعب عن النبي ﷺ: (لا فكرة في الرب)، وروى أنس أن النبي ﷺ قال: (إذا ذكر

(١) الجوهر الفرد هو الجزء الذي لا يتجزأ لتناهيه في القلة، وسمى جوهرًا لأن الجسم يتركب من جوهرين فردين فأكثر.

الله تعالى فانتهوا)، وقال: (تفكروا في الخلق، ولا تتفكروا في الخالق).

فإن قيل: كيف يعقل موجود قائم بالنفس ليس بداخل العالم ولا خارج منه، قلنا: عرفتم استحالة ذلك ضرورة أم دلالة، وقد أوضحنا معنى مباينته بالنفس، وهكذا الجواب عن قولهم خلق الله العالم في نفسه أم مبايناً عنه، قلنا: خلقه على مقدار نفسه أو أكبر منه أو أصغر أو فوق نفسه أو تحته، ثم نقول: حروف الظروف إنما تستعمل في الأجرام المحدودة^(١) وكذلك الدخول والخروج من هذا القبيل وكذلك المماساة والمباينة، وقد أجبنا عن المباينة. فإن قالوا: كيف يرى بالأبصار من لا يتحيز ولا يقوم بالمتحيز، قلنا: الرؤية عندنا لا تقتضى جهة ولا مقابلة

(١) أي على وجه الحقيقة، إن استعملت على وجه المجاز فإنها تستعمل على المجاز كقوله تعالى: ﴿أَفَىٰ اللَّهُ شَكٌّ﴾، أو يكون مراد المؤلف أن حروف الظروف لا تستعمل على معنى الظرفية في حق الله تعالى، إنما تستعمل على هذا المعنى في حق الأجرام.

وإنما تقتضى تعيين المرئى، وبهذا يتميز عن العلم، فإن العلم يتعلق بالمعدوم وبالمعلوم على الجملة تقديراً، وكذلك لا يقتضى اتصال شعاع بالمرئى فهى كالعلم أو فى معناه. فإن قيل: أستم تقولون الإدراك يقتضى نفس المدرك. قلنا: لا يقتضى تعيينه ولا تحديده.

فإن قالوا: كيف يدرك وجود الإله سبحانه؟، قلنا: لا كيفية للأزلى ولا حيث له وكذلك لا كيفية لصفاته، ولا سبيل لنا اليوم إلى الإخبار عن كيفية إدراكه ولا إلى العلم بكيفية إدراكه، وكما أن الأكمه الذى لا يبصر الألوان إذا سئل عن الميز بين السواد والبياض والإخبار عن كفيتهما فلا جواب له، كذلك نعلم أن من لا جهة له لا يشار إليه بالجهة.

فإن قالوا: من أبصر شيئاً يمكنه التمييز بين رؤيته لنفسه وبين رؤيته ما يراه، فإذا رأيتم الإله سبحانه كيف تميزون بين المرئيين؟، قلنا: من لا جهة له لا يشار إليه بالجهة، ومن لا مثل له لا إيضاح له بالمثل، ومن لا أشكال له فلا أشكال فيه. ثم نقول لهم: أنتم إذا رأيتم الإله

كيف تميزون بينه وبين العرش وهو دونه سبحانه بالرؤية، أتميزون بينهما بالشكل والصورة أم باللون والهيئة، ومن أصلكم أن المرئى شرطه أن يكون فى مقابلة الرئى، وكيف يرى القديم سبحانه نفسه، وكيف يرى الكائنات مع استتار بعضها ببعض فلا يرى على هذا الأصل بطون الأشياء، وهذا خلاف ما عليه المسلمون، وإذا كان العرش دونه فلا يحجبه عنا حالة الرؤية، قال الأستاذ أبو إسحق: من رأى الله تعالى فلا يرى معه غيره- أى فى حال رؤيته للحق- فاندفع السؤال على هذا الجواب.. أ.هـ.

وقال الأمدى فى غاية المرام^(١) ما نصه: فالواجب أن يقال: إنه إن أريد بالاتصال والانفصال قيام أحدهما بذات الآخر وامتتاع القيام فلا محالة أن البارئ والعالم كل واحد منهما منفصل عن الآخر بهذا الاعتبار، وهو مما لا يوجب كون كل واحد منهما فى جهة من الآخر، مع امتتاع قبولية كل واحد منهما لها أو امتتاع قبولية أحدهما،

(١) غاية المرام فى علم الكلام (ص/١٩٩ - ٢٠٠).

ومع امتناع تلك القبولية فلا تلزم الجهة. وإن أريد بالاتصال ما يلزمه الاتحاد في الحيز والجهة، وبالانفصال ما يلزمه الاختلاف فيهما ووقوع البعد والامتداد بينهما، فذلك إنما يلزم على البارئ تعالى أن لو كان قابلاً للتحيز والجهة، وإلا فإن لم يكن قابلاً فلا مانع من خلوه عنهما معاً، فإن راموا إثبات الجهة بالانفصال والاتصال، والخصم لا يسلم ذلك إلا فيما هو قابل للجهة، أفضى ذلك إلى الدور، ولا محيص عنه، وليس لهذا مثال إلا ما لو قال القائل: وجود شئ ليس هو عالم ولا جاهل محال، فيقال: إنما هو محال فيما هو قابل لهما، وكذا في كل ما هو قابل لأحد نقيضين، فإن خلوه عنهما محال، أما وجود ما لا يقبل ولا لواحد منهما فخلوه عنهما ليس بمحال، وذلك كما في الحجر وغيره من الجمادات، وبهذا يندفع ما ذكره من الخيال الآخر أيضاً.

وعدم التخيل لموجود هو لا داخل العالم ولا خارجه على نحو تخيل الصور الجزئية- مع كونه معلوماً بالبرهان وواجباً التصديق به غير مضر، إذ ليس ما

وجب التصديق به بالبرهان يكون حاصلاً في الخيال، وإلا لما صح القول بوجود الصفات الغير المحسوسة كالعلم والقدرة والإرادة ونحوها لعدم حصولها في الخيال، وامتناع وقوعها في المثال، وما قيل من أن حيث الصفات لا يكون إلا حيث الذات فذلك إنما هو لما كان من الصفات له حيث وجهة، إذ يستحيل أن تكون الصفات في جهة وحيث إلا وهي في جهة ما قامت به من الذات، ولا يتصور وقوع الجهة للصفات دون الذات، وأما ما لا حيث له من الصفات فلا جهة له، وعند ذلك فلزوم الجهة والحيث لذات واجب الوجود بالنظر إلى حيث صفاته مع امتناع قبولها للحيث محال.. أ.هـ.

وقال الأمدى في أبحار الأفكار^(١) ما نصه: والجواب عن الشبهة الأولى أن يقال: إن أريد بالاتصال والانفصال قيام أحدهما بالآخر وامتناع القيام به فالبارئ تعالى بهذا الاعتبار منفصل عن العالم، ولكن ذلك مما لا يوجب كون كل واحد منهما في جهة من الآخر إلا أن يكون الرب

(١) أبحار الأفكار (١/ ٣٠٤-٣٠٥)، مخطوط.

تعالى قابلاً للكون في الجهة وهو محل النزاع، وإن أريد بالاتصال ما يلزمه الاتحاد في الجهة والحيز، وبالانفصال ما يلزمه الاختلاف في الجهة والحيز فذلك إنما يتم ويلزم أن لو كان البارئ تعالى قابلاً للحيز والجهة، وإلا فلا مانع من خلوه عنهما معاً، فإن راموا إثبات الجهة بالانفصال والاتصال بهذا الاعتبار والخصم لا يسلمه إلا فيما هو قابل للجهة والحيز كان دوراً ودعوى البديهية في ذلك ممتنع، فإن البديهي لا يخالف فيه أكثر العقلاء، وأكثر العقلاء مخالفون في نفي الجهة عن الله تعالى. وإن اكتفى في ذلك بمجرد الدعوى فقد لا تؤمن المعارضة بمثله في طرف النقيض.

وعن الشبهة الثانية فأجيب: بأنه لا داخل العالم ولا خارجاً عنه، فإن ذلك إنما هو من لوازم الجهة والحيز، فما لا يكون في جهة ولا حيز فلا يكون متصفاً به، والقول بأن ذلك غير معقول إنما يصح فيما كان من ذوات الجهة والحيز، أما ما ليس من ذوات الجهة والحيز فالقول بأنه إما داخل العالم وإما خارج عنه فلا يكون معقولاً.

وعن الشبهة الثالثة: منع أنه لا معنى للعالم بنفسه غير المتحيز بل العالم بنفسه هو المستغنى عن محل يقومه والبارئ تعالى كذلك وذلك لا يلزم منه كونه في الجهة.

وعن الرابعة: يمنع أنه لا معنى لقيام الصفة بمحلها إلا كونها موجودة في الحيز تبعاً لمحلها فيه، ومن المعلوم أن ذلك غير ضروري ولا دليل عليه.

وأما الشبه النقلية: فمن باب الظواهر الظنية فلا تقع في مقابلة الأدلة العقلية اليقينية، كيف وأنه مهما تعارض دليلان فالجمع بينهما أولى من العمل بأحدهما وتعطيل الآخر، وقد أمكن الجمع بتأويل ما ذكروه من الظواهر على وجه موافق للدليل الدال على نفي الجهة والحيز.. أ.هـ.

وهذا القول، أي: أن الله ليس داخل العالم ولا خارجه يدل عليه دلالة ظاهرة قوله تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ (الرعد: ٨)، لأنه لو كان داخل العالم لكان له مقدار، ولو كان خارجه لكان له مقدار، فلا مهرب من إثبات المقدار له إلا بنفي التحيز بالكون داخل العالم أو

خارج العالم.

ولولا سقم فهم ابن تيمية لفهم من هاتين الآيتين: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ أن الله ليس داخل العالم ولا خارجه، لكنه جعل الله مثل كل العالم في إثبات المقدار له لأن أفراد العالم كل فرد له مقدار.

قاعدة عظيمة النفع في تنزيه الله تعالى

نقل الحافظ البيهقي في كتاب الأسماء والصفات^(١) عن الإمام أبي سليمان الخطابي أنه قال: (إن الذى علينا وعلى كل مسلم أن يعلمه أن ربنا ليس بذى صورة ولا هيئة فإن الصورة تقتضى الكيفية، والكيفية منفية عن الله وعن صفاته).. أ.هـ.

وفيه أيضاً عن أبي الحسن على بن محمد الطبرى وجماعة آخرين من أهل النظر ما نصه^(٢): (والقديم سبحانه عال على عرشه لا قاعد ولا قائم ولا مماس ولا مباين عن العرش، يريد به مباينة الذات التى هى بمعنى الاعتزال أو التباعد، لأن المماساة والمباينة التى هى ضدها والقيام والقعود من صفات الأجسام، والله عز وجل أحدٌ صمدٌ لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحداً.. فلا يجوز عليه ما يجوز على الأجسام، تبارك وتعالى.

(١) الأسماء والصفات (ص/٢٩٦).

(١) الأسماء والصفات (ص/٤١٠ - ٤١١).

وحكى الأستاذ أبو بكر بن فورك هذه الطريقة عن بعض أصحابنا أنه قال: استوى بمعنى علا، ثم قال: ولا يريد بذلك علواً بالمسافة والتحيز والكون في مكان متمكناً فيه ولكن يريد معنى قول الله عز وجل: ﴿أَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ﴾ (الملك: ١٦)، أى: من فوقها على معنى نفى الحد عنه، وأنه ليس مما يحويه طبق أو يحيط به قطر، قلت: وهو على هذه الطريقة من صفات الذات، وكلمة ثم تعلقت بالمستوى عليه لا بالاستواء، وهو كقوله: ﴿ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾ (يونس: ٤٦)، يعنى ثم يكون عملهم فيشاهده، وقد أشار أبو الحسن بن إسماعيل إلى هذه الطريقة حكاية فقال: وقال بعض أصحابنا إنها صفة ذات ولا يقال لم يزل مستوياً على عرشه، كما أن العلم بأن الأشياء قد حدثت من صفات الذات، ولا يقال لم يزل عالماً بأن قد حدثت ولمّا حدثت بعد، قال: وجوابي هو الأول وهو أن الله مستو على عرشه وأنه فوق الأشياء بائن منها بمعنى أنه لا تحله ولا يحلها ولا يمسه ولا يشبهها، وليست البيئونة بالعزلة - تعالى الله ربنا عن الحلول والمماسة علواً كبيراً - .. انتهى كلام البيهقي

بنصه.

ثم قال عقبه ما نصه^(١): (وفيما كتب إلى الأستاذ أبو منصور بن أبي أيوب أن كثيراً من متأخري أصحابنا ذهبوا إلى أن الاستواء هو القهر والغلبة، ومعناه أن الرحمن غلب العرش وقهره، وفائدته الإخبار عن قهر مملوكاته وأنها لم تقهره، وإنما خص العرش بالذكر لأنه أعظم المملوكات تنبيه بالأعلى على الأدنى) .. انتهى كلامه.

وحاصله كما لا يخفى أن فوقية الله على عرشه فوقية القهر والعظمة.

وما روى عن ابن عباس أنه فسر الاستواء بالاستقرار، فهو من رواية السدي الصغير، عن الكلبي، عن أبي صالح قال البيهقي^(٢): رواية منكورة، وهذا السند يسمى سلسلة الكذب، فوجب الحذر من كتاب (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس .. فإنه كذب عليه).

(١) الأسماء والصفات (ص/٤١٢).

(١) الأسماء والصفات (ص/٤١٣).

وينبغي أن يتنبه لمراد من قال من الأئمة: إنه بائن عن الأشياء، ومن قال منهم: إنه تعالى غير مباين فإنه ليس خلافاً حقيقياً بل مراد من قال: (بائن) أنه لا يشبهها ولا يماسها، ومراد من قال: (ليس مبايناً) نفى المباينة الحسية المسافية، فمن نقل كلام من قال منهم (إنه بائن) وحمله على المباينة المسافية والمحاذاة كابن تيمية فقد باين الصواب، وقول أئمة الحق ما لم يقولوه، فحذار حذار ممن يحمل كلامهم على غير محمله.

وقال الإمام أبو منصور الماتريدي رحمه الله^(١): ثم القول بالكون على العرش - وهو موضع بمعنى كونه بذاته أو في كل الأمكنة - لا يعدو من إحاطة ذلك به أو الاستواء به أو مجاوزته عنه وإحاطته به، فإن كان الأول فهو إذاً محدود محاط منقوص عن الخلق إذ هو دونه، ولو جاز الوصف له بذاته بما يحيط به من الأمكنة لجاز بما يحيط به من الأوقات فيصير متناهيًا بذاته مقصراً عن خلقه.

(١) كتاب التوحيد (ص/٧٠).

وإن كان على الوجه الثاني فلو زيد على الخلق لا ينقص أيضاً، وفيه ما في الأول.

وإن كان على الوجه الثالث فهو الأمر المكروه الدال على الحاجة وعلى التقصير من أن ينشئ ما لا يفضل عنه مع ما يذم ذا من فعل الملوك أن لا يفضل عنهم من المعامد شيء.

وبعد.. فإن ذلك تجزئة بما كان بعضه في ذى أبعاض وبعضه يفضل عن ذلك. وذلك كله وصف الخلائق والله يتعالى عن ذلك.

وبعد.. فإنه ليس في الارتفاع إلى ما يعلو من المكان للجلوس أو القيام شرف ولا علو ولا وصف بالعظمة والكبرياء، كمن يعلو السطوح أو الجبال إنه لا يستحق الرفعة على من دونه عند استواء الجوهر، فلا يجوز صرف تأويل الآية إليها مع ما فيها ذكر العظمة والجلال، إذ ذكر في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ (يونس: ٣)، فذلك على تعظيم العرش.. انتهى كلام الماتريدي.

الفصل الخامس عقيدة النجاة

ذكر الإمام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم رحمته في كتابه عقيدة النجاة^(١) ما نصه:

أولاً: عقيدة السلف الصالح

جاء في كتاب قوت القلوب للإمام العارف الشيخ أبى طالب المكي^(٢) في ذكر عقيدة الصوفية:

فرض التوحيد هو اعتقاد القلب أن الله تعالى واحد لا من عدد، أول لا ثانى له، موجود لا شك فيه، حاضر لا يغيب، عالم لا يجهل، قادر لا يعجز، حى لا يموت، قيوم لا يغفل، حلیم لا يسفه، ملك لا يزول ملكه، قديم بغير وقت، آخر بغير حد، كائن لم يزل ولا تزال الكينونة صفتة لم يحدثها لنفسه، دائم أبدا الأبد لا نهاية لدوامه، والديمومة وصفه لم يحدثها لنفسه، لا بداية لكينونته لقدمه،

(١) عقيدة النجاة (ص/١١ - ١٥).

(٢) أبو طالب على بن محمد المكي المتوفى سنة ٣٨٦ هـ.

وليعلم العاقل أن الجلوس كيفما كان افتراضاً أو تربعاً أو غيرهما فهو كيفية، لأنه لا يخرج عن كونه من صفات الأجسام، وهكذا التحيز في المكان كيفية من كفيات الأجسام واللون، والمماساة لجسم من الأجسام كيفية فهى منفية عن الله.

ونذكر في ختام هذا الفصل نص الفقهاء الحنفيين من الفتاوى الهندية في تكفير مثبت المكان لله عز وجل قالوا^(١): يكفر بإثبات المكان لله تعالى، فلو قال: لا محل خال من الله يكفر، ولو قال: الله تعالى فى السماء فإن قصد به حكاية ما جاء فيه ظاهر الأخبار لا يكفر، وإن أراد به المكان يكفر، وإن لم تكن له نية يكفر عند الأكثر وهو الأصح وعليه الفتوى، ويكفر بقوله: الله تعالى جلس للإنصاف.. أ.هـ.

(١) أنظر الفتاوى الهندية (٢/٢٥٩).

ولا غاية لأبديته، آخر في أوليته، أول في آخريته. وأن أسماء وصفاته وأنواره غير مخلوقة له، ولا منفصلة عنه. وأنه أمام كل شيء، ووراء كل شيء، وفوق كل شيء، ومع كل شيء، وأقرب إلى كل شيء من نفس الشيء، وأنه مع ذلك غير محل للأشياء، وأن الأشياء ليست محلاً له، وأن الله جل شأنه هو ذات منفرد بنفسه، متوحد بأوصافه، لا يمتزج ولا يزدوج إلى شيء، بائن من جميع خلقه. لا يحل الأجسام، ولا تحله الأعراض، ليس في ذاته سواه، ولا في سواه من ذاته شيء، ليس في الخلق إلا الخلق. وأنه تعالى ذو أسماء وصفات، وقدرة وعظمة، وكلام ومشينة، وأنوار، كلها غير مخلوقة ولا محدثة، بل لم يزل قائماً موجوداً بها جميعاً.

له الخلق والأمر، والسلطان والقهر، يحكم بأمره في خلقه وملكه ما شاء كيف شاء، لا معقب لحكمه، ولا مشيئة لعبد دون مشيئته، لا حول لعبد عن معصيته إلا برحمته، ولا قوة لعبد على طاعته إلا بمحبته، ولا يجب عليه في الأحكام ما أجرى علينا، لا يختبر بالأفعال، ولا

يشار إليه بالمقال. عادل بحكمة وعادل هما صفته، لا تُشَبَّهُ حكمته بحكمة خلقه، ولا يقاس عدله بعدل عباده، قد جاوز العقول، وفات الأفهام، هو كما وصف نفسه، وفوق ما وصفه خلقه، نَصَفُهُ بما ثبتت به الرواية وصحت عن رسول الله ﷺ، وأنه ليس كمثله شيء في كل شيء بإثبات الأسماء والصفات ونفى التمثيل والأدوات، وأن ما سوى أسمائه وصفاته وأنواره وكلامه من الملك والملكوت مُحَدَّثُ كله ومظهر، كان بعد أن لم يكن، ولم يكن قديماً ولا أولاً، بل كان بأوقات مُحَدَّثَةٍ وأزمان مؤقتة، والله تعالى هو الأزلي الذي لم يزل، الأبدى الذي لم يحل، أحد صمد، لم يلد وبمعناه لم يولد، ولم يخلق من ذاته شيء، كما لم تخلق ذاته من شيء، سبحانه وتعالى عما يقوله الملحدون من ذلك علواً كبيراً.

ثانياً: عقيدة العامة التي لا بأس بها

جاء في كتاب حياة القلوب للشيخ عماد الدين الأموى في شرح العقيدة:

يعتقدون أن الله تعالى واحد فرد صمد، قديم أزلي، باق

أبدى، وأن ما سواه فهو صنعه وخلقه، لا شريك له، ولا ضد ولا ند ولا شبيهه، موصوف بكل ما وصف به نفسه من الحياة والعلم، والقدرة والإرادة، والسمع والبصر والكلام. مسمى بكل ما سمي به نفسه، ليس بجسم، فإن الجسم ما كان مؤلفاً والمؤلف يحتاج إلى مؤلف. ولا هو بجوهر، فإن الجوهر ما كان متحيزاً وهو سبحانه خالق كل متحيز. ولا هو بعرض، لأن العرض لا يبقى ويحتاج إلى جوهر. سبحانه لا يكيفه العقل، ولا يمثله الفكر، ولا تلحقه الإشارة، ولا تُعَيَّنُه العبارة، العقول محجوبة عن درك حقيقته، إذ العقول للعبودية لا للإشراف على الربوبية.

ويعتقدون في الاستواء ما قاله مالك بن أنس حين سئل عنه فقال: الاستواء معلوم، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.

ويؤمنون بجملة ما ورد في الكتاب العزيز، وجاءت به الروايات الصحيحة عن النبي ﷺ من أحوال المعاد ويوم القيامة وما فيه وما بعده.

وأجمعوا أن الله خالق أفعال العباد، وأن الخلق يموتون بأجلهم، وأن الشرك والمعاصي كلها بقضاء الله وقدره من غير أن يكون لأحد من الخلق على الله حجة، فله الحجة البالغة، ولا يرضى لعباده الكفر والمعاصي، والرضا غير الإرادة.

ويتبرأون من المعتزلة^(١)، والقدرية^(٢)، والجهمية^(٣)، والمثبته^(٤)، والمعطلة^(٥)،

-
- (١) المعتزلة: هم أصحاب واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد من تلاميذ الحسن البصري الذين اعتزلوا حلقته فسموا معتزلة.
- (٢) القدرية: وهم اسم للمعتزلة فكانوا يسمون القدرية أو العدلية، وكانوا يدعون أنفسهم أهل العدل والتوحيد لقولهم باختيار العبد في فعله ونفى صفات الله.
- (٣) الجهمية: هم أصحاب جهنم بن صفوان تلميذ الجعد بن درهم الذي قتل على الزندقة والإلحاد.
- (٤) المثبته: هم الذين صرحوا بالتشبيه مثل الهشاميين من الشيعة ومثل مضر وكهمس وأحمد الهجيني وغيرهم من الحشوية.
- (٥) المعطلة: وهم صنفان: صنف أنكر الخالق، وصنف أقر بالخالق وأنكر البعث.

والخوارج^(١)، والروافض^(٢)، وسائر أهل البدع.

وأجمعوا على أن الإيمان قول وعمل واعتقاد، فمن ترك الإقرار فهو كافر، ومن ترك التصديق فهو منافق، ومن ترك العمل فهو فاسق.

أصول العقيدة التي أخذ العلماء:

ثم يكشف الإمام أبو العزائم رحمته عن الأصول التي أخذ بها العلماء فيقول ما نصه^(٣): ذكرنا عقيدة الصوفية التي رويناها عن أبي طالب المكي في أول الرسالة، وهي كما ترى عقيدة صحيحة خالصة من شوائب الشرك، بعيدة عن موارد الشبه، سهلة الفهم على عقول العامة لخلوها

(١) الخوارج: وهم الذين رأوا التحكيم في وقعة صفين خطأ، لأن التحكيم يتضمن شك كل فريق أيهما محق، وليس يصح هذا الشك لأنهم حاربوا وهم مؤمنون أن الحق في جانبهم.

(٢) الروافض: إنما سموا بالروافض لأن سيدنا زين العابدين عليه السلام خرج على هشام بن عبد الملك فطعن عسكره في أبي بكر وعمر فمنعهم من ذلك فرفضوه، وبقي عليهم هذا الاسم.

(١) عقيدة النجاة، ص ٢٢ - ٣١.

من التعقيد الذي ينحو إليه بعض علماء هذا الزمن.

وإليك الأصول التي أخذ بها العلماء الربانيون في العقيدة التي لا نجاة لمسلم إلا بها، لانحصارها في الكتاب العزيز والحديث الشريف.

تتخصر هذه الأصول عندهم في مسألتين هامتين:

أولاً: الإمداد، ويسمونه العناية.

ثانياً: الإيجاد، ويسمونه الإبداع.

وإنما اخترنا الإمداد والإيجاد لأنهما لفظان قريبان لعقول الجمهور، وإن كانت هذه الدلائل مما يعسر فهمه على العامة، إلا أننا نطمح أن يسطع نور ما فيها من أسرار القرآن وحكمة الشريعة على تلك العقول، فنتنتفع منه بحسب القوة القابلة فيها.

أولاً: الإمداد

* عناية الله التي سبقت للإنسان :

أما دليل الإمداد فهو عناية الله تعالى التي سبقت للإنسان، فخلق له الكائنات جميعها، وسخر له ما في

السموات وما فى الأرض، ولمعرفة هذه العناية يجب على الإنسان أن ينظر بعين التفكير والاعتبار إلى ما خلقه الله وسخره له، ليدرك أن الله سبحانه وتعالى عنى به عناية كبرى، حيث خلق له كل شئ موافقاً لوجوده، مسهلاً له سبيل الحياة فى راحة وهناءة، فبسط الأرض، وأنبت له فيها كل ما تشتهيئه الأنفس وتلذ به الأعين، وأجرى له الأنهار، وذلل له الحيوان، ورفع فوقه السماء، ومهد تحته الأرض، وصرف له الرياح فى أفقه الخاص، وأجرى السحاب، وخلق له شمساً تضىء له الفجاج، وتتمى له النبات، وتحفظ بحرارتها كيان الجسم، وجعل له نهراً للعمل، وأعطاه القوة، وهياً له الأسباب، وليلاً للراحة، والكون أناره له بالقمر والكواكب، وخلق للإنسان فى السنة أربعة فصول مختلفة الأجواء، بحيث تتناسب مع صحته ونمو النبات والحيوان، وخلق له من نفسه زوجاً تعينه على الحياة، وتقاسمه نعيمها. وبالجملة فكل هذه الموجودات التى خلقها الله مناسبة لوجود الإنسان؛ هى المرأة الصقيلة التى يرى فيها بعين بصيرته آثار عناية الله به، فيدرك أن ذلك لم يخلق عبثاً، ولا وجد موافقاً

لحياته اتفاقاً، وإنما هو صادر عن فاعل قادر مريد. هذا هو أحد الدليلين المحسوسين على معرفة وجود الله تعالى.

* أسباب الوقوع فى الشرك والجحود :

ولكن الذى حدا ببعض الناس إلى الوقوع فى غياهب الشرك وظلمات الجحود، وبالبعض الآخر إلى الجهل المطبق بمعانى التوحيد، هو مرورهم على هذه الآيات التى تحيط بهم، بل تتصل بحياتهم، دون أن يفكروا فى حكمة وجودها، والسبب الى خلقت من أجله، ولماذا وجدت هكذا مناسبة وموافقة لجميع مرافق الإنسان ومقتضياته، وإلا فلو خلق الله الأرض أخاديد وهضاباً- بحيث لا يستطيع الإنسان أن ينتقل من مكان إلى الآخر إلا بعد أن يتسلق جبلاً شاهقاً ثم يهبط فى حفرة عميقة- كيف كان يتسنى لواحد أن يعيش فوق الأرض؟! وكيف يشيد له داراً أو مزرعة ينتفع بها أو يجد له مأوى يعيش فيه؟! ولو لم يخلق الله تلك الشمس، أو حبس الهواء، أو منع الماء، هل كان يستطيع ذلك الإنسان الضعيف أن

العذب! ولكنك لو تفكرت قليلاً لعلمت أنه أرحم الراحمين، فإنه قادر أن يجعله عذباً، ولو جعله كذلك لتعفن بعد أربعة أيام، وانتشرت العفونة على وجه الأرض فسممت الجو، وحرمت الناس الماء العذب. ولكن رحمة ربك قضت أن يحفظ لك الماء بالملح، ويخرج لك منه في كل سنة ما فيه كفايتك من الأمطار، التي يشترك في تكوينها الشمس والسحاب والهواء، فسبحان مسبب الأسباب، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ (العنكبوت: ٤٣)، وكم في البحر من منافع ونعم، فمنه نستخرج من الأسماك أنواعاً لا تحصى، ومن الأولو والصدف والمرجان واليسر أشكالاً لا حد لها- قال سبحانه: ﴿وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَلَيَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (النحل: ١٤)، فذكر ثلاث كلمات: جريان الفلك على وجه الماء، ونظرنا إلى المنافع التي سخرها لنا فيه، ثم أوجب علينا الشكر.

* الإسلام جامع للعلم :

فالواجب عليك أيها المسلم النظر إلى النعم التي تحيط

يبقى حياً يوماً واحداً؟.. ولو لم يسخر الله تلك الحيوانات وخلقها متوحشة ضارية، لا ترى الإنسان حتى تفتك به وتحاربه، هل كان يقوى على البقاء في هذا العالم؟!.

* ارق بنظرك لما خلق الله :

أنظر إلى هذا كله ثم ارق بنظرك لما خلق الله لك من أنواع المعادن، خصوصاً الحديد الذي لولاه ما قهرت حيواناً، ولا اتخذت معدناً، ولا سارت بك قاطرة ولا باخرة ولا طائرة ولا غواصة، ولا انتفعت بالأخبار البرقية.

ثم انظر بعد ذلك إلى النار، وما أحدثت لك من العيشة الطيبة في مأكلك ومشربك وملبسك.

ثم انظر إلى البحار الملحة كيف خلقها ربك واسعة عميقة، وجعلها تخزن لك كمية وافرة من الماء، فيبخره سبحانه فيحفظ لك الملح، ويرفع الماء إلى السماء، حيث يهطل عليك مطراً يحيى موات كل كائن.

ثم انظر إلى هذا البحر العظيم الذي غمر ثلاثة أرباع الأرض، كيف جعله ملحاً مع شدة احتياج الناس إلى الماء

بك، لتعلم مبلغ العناية التي تفضل الله بها عليك ﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ (إبراهيم: ٣٤)، ولو أردت أن أكتب على نعمة واحدة من تلك النعم لما وسعتني المجلدات.. ولكن، قبح الله أهل الجهالة، يقولون: نتكلم بلسان العلم، حتى أوهموا العامة أن العلم شئ والإسلام شئ آخر، وكذبوا؛ فالإسلام جامع للعلم؛ والعلم بعضه، والبعض الثاني إيمان، أى: تصديق وتسليم، والبعض الثالث شهود وإيقان. وهل من أشهده الله عجائب حكمته وبدائع صنعته فى الكون المحسوس؛ يخذع لقوم أعمى الله بصرهم وبصيرتهم؟ إن من يخذع بهم هو من لم يعلم من الإسلام ظاهراً ولا باطناً، ولم يذق له طعاماً، من جهل منزله سبحانه، وجهل مبلغه ﷺ الذى أقام الحجة البالغة بإعجاز القرآن، وما أتى به من الآيات الباهرات التى لا تزال نراها بأعيننا، من أخبار سابقة لوقتها تحققت، وإنذار لم ننته عما حذرنا منه فوقنا فيه. ولكن من سجل عليه القضاء أن يكون من أهل جهنم لا ينتهى عن غيه ولو جئته بكل آية. نعوذ بالله من سلب النعمة، ومن العناد المخرج عن الحق.

ثم انظر بعد ذلك إلى ما فوقك من نجوم منتثرة، لكل نجم خاصية فى النبات والمعادن، فمنها ما يودع الزيت، ومنها ما يعطى الصبغة، أو الطعم، أو الرائحة. ثم انظر إلى نفسك تر العجب العجائب.. تر بولة جرت فى مجرى البول مرتين، ثم صورت فكانت حيواناً ناطقاً مستقيم القامة ممنوحاً قوة وعقلاً، مسخراً له كل شئ!.. وبلغ من العناية بالإنسان أن ارتفع قدره حتى كلم الله كفاحاً، ومن الإنسان من نزل عن ذلك فصارت تخدمه الملائكة فى فردوس الله الأعلى. ومنه من منح المشيئة الكبرى وتصرف بكلمة كن ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ (الشورى: ٢٢)، ومنه من منح التصريف الأكبر فى الدنيا حتى شيدت له المعابد والهيكل وعبد من دون الله. كل ذلك والإنسان يجهل نفسه وقيمته، ويجهل المنعم عليه سبحانه، فترى من الإنسان من انحط عن الجماد فاتخذ الكواكب أو الأحجار أو قطع النحاس آلهة، ومنه من اتخذ إنساناً نظيره إلهاً، وهذا هو العجب العجائب!!.. إنسان دون الخنزير قيمة، وإنسان فوق الملائكة قدراً، وإنسان

ثم إذا نظر إلى ما حوله من الكائنات فرأى تلك السماء المرفوعة بغير عمد نراها، وما فيها من كواكب وأفلاك، ونظر إلى ما فى الأرض من أنواع الحيوان والنبات تنمو وتخرج الغذاء وهى لم تك شيئاً، أفلا يتحقق أن كل هذه المخلوقات آيات ناطقات بعجيب الاختراع على غير مثال سبق؟!.

وإذن، فلا بد أن يكون لهذه المخترعات مخترع قادر حكيم، أوجد فيها هذه القوة وتلك الروح، فصيرها حية متحركة، بعد أن كانت ميتة جامدة، لذلك كان من الواجب على من أراد معرفة الله حق معرفته؛ أن يعرف جواهر الأشياء ليقف على الاختراع الحقيقى فى جميع الكائنات، لأن من لم يعرف حقيقة الشئ لم يعرف حقيقة الاختراع، وإلى هذا الإشارة بقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ (الأعراف: ١٨٥).

فهذان هما دليلا الإيجاد والإمداد اللذان نبتت عليهما طريقة الخواص من العلماء الربانيين. وقد جاء ذكر هذين

جمّله الله بمعانى صفاته فكان هادياً مهدياً، عالماً معلماً، يلبيه الله تعالى عند أول كلمة من فيه، ويرفع به البلاء والعناء!.. إنما أخاطب أهل العقل ممن يعقل عن الله، ولا أتكلم مع من سلب الله منهم العقل.

ثانياً: الإيجاد

* دليل الإيجاد :

وأما دليل الإيجاد: فاختراع جواهر الأشياء مثل اختراع الحياة فى الجماد، بل اختراع الجماد نفسه والقوى الحسية والعقل، وسائر المخلوقات التى خلقت على غير مثال. فلو نظر الإنسان إلى نفسه بعين المتأمل لوجد فيه من دلائل الإبداع ما يعجز عقله عن إدراك كنهه والوقوف على سر حقيقته، وإلا، فهل يدرك الإنسان مثلاً كيف خلقه الله من نطفة فذرة؟ وكيف سوّاه وأنزله من مكان ضيق ثم أنشأه فإذا هو إنسان سميع بصير متكلم عاقل؟ وهل يمكنه أن يفهم كيف تبصر تلك العين، أو تسمع الأذن، أو ينطق الفم، أو يعقل العقل، أو تتحرك اليد والرجل؟!.

وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ (الحج: ٧٣).. إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة.

* أدلة الإيجاد والإمداد :

وأما الآيات التي ذكرت الدليلين معاً فهي الأكثر، مثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنداداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٢١ - ٢٢).. فالقسم الأول دليل الإيجاد، وقوله: ﴿جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشاً﴾ دليل الإمداد.

الدليلين في كثير من آيات القرآن المجيد، إما بتفصيل كل دليل على حدة وإما بذكرهما معاً.

الأدلة على الإيجاد والإمداد :

* أدلة الإمداد :

فمثال دليل الإمداد قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مَهَاداً * وَالْجِبَالَ أَوْتَاداً * وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجاً * وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتاً * وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاساً * وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشاً﴾ (النبأ: ٦ - ١١).

وقوله: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجاً وَقَمَراً مُنِيراً﴾ (الفرقان: ٦١).

ومثل قوله: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ * أَنَا صَبَّبْنَا الْمَاءَ صَبّاً * ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقّاً * فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبّاً * وَعَنْباً وَقَضْباً * وَزَيْتُوناً وَنَخلاً﴾ (عبس: ٢٤ - ٢٩).

* أدلة الإيجاد :

ومثال دليل الإيجاد قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ (الغاشية: ١٧).